الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص: أدب عربي جزائري)

الإستراتيجية الإقناعية لمحمد البشير الإبراهيمي - نماذج مختارة -

مقدمة من قبل:

ريمة جوادي

تاريخ المناقشة : 2016/06/21.

لجنة المناقشة:

عبد الحليم مخالفة	أستاذ مساعد أ	رئيسًا	جامعة8 ماي 1945 قالمة
علي طرش	أستاذ مساعد أ	مشرفًا ومقررًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كمال حملاوي	أستاذ مساعد أ	عضوًا ممتحنًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2015/ 2016

كلمة عرفان

أتوجّه بالشّكر والعرفان الخالصين **لله**

وإلى الأستاذ المحترم: الأستاذ **علي طرش**

على دعمه وإشرافه، وعلى ما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات

قيّمة،

وعلى الثّقة التي وضعها فيّ.

وكذا الأساتذة الذين درسوني أو كانوا لي عونا في حياتي الدراسية

عموما

دون أن ننسى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على صبرهم

وتفهمهم.

ريمة جوادي

مقدمة

مقدمة:

يعدّ الخطاب الإصلاحي بحق رصيدا عظيما للإرث الجزائري والعربي الإسلامي، حتى غدت معطياته في حينها، جوهر القّيم الرّوحية العميقة لأفراد المجتمع، فقد كان خطابا سلفيا بروح عصره، فكان له يد في بناء الأمة الجزائرية.

إن الخطاب الإصلاحي الذي سعت له جمعية العلماء المسلمين من خلال أقطابها كابن باديس والإبراهيمي وغيرهما، يدعو إلى مشروع الكائن الإنساني الفاعل في مجتمعه، والمحقّق لذاته، المتبع لنبيه، والمتحرر من الوهم والخرافة والشعوذة ومن كل السلبيات التي حاول المستدمر أن يزرعها فيه.

وحتى يحقّق هذا الخطاب غاياته، اعتمد على إستراتيجيات الإقناع المختلفة بتقديم الأدّلة والبراهين، من خلال توظيف آليات لغوية وأخرى بلاغية، وكذا سوق الحجج الدّامغة، وذلك للوصول إلى الهدف المنشود من هذا الخطاب، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال بحثنا الموسوم بـ : (الإستراتيجية الإقناعية في خطاب الإصلاح لمحمد البشير الإبراهيمي)، ونعني بالدراسة هنا، جملة الآليات والوسائل التي وظفها الإمام الإبراهيمي ليحتّج لرأي، أو ليدحض فكرة، ساعيا إلى إقناع المتلقي بما يدعو له، أو حمله على الإذعان لما يعرضه، وهو أمر سيقودنا إلى دراسة خطبه في بنياتها اللغوية من ناحية، ورؤيتها من منظور تداولي من ناحية أخرى.

وقد ثبت اختيارنا في هذا البحث على مدونة تضمنت توجيهات، ودعوة إلى الإصلاح على جميع الأصعدة الحياتية، سواء الدينية، أو السياسية، أو الاجتماعية، وهي جملة من الخطب قيلت في مناسبات عدة اخترناها من بين آثاره التي جمعها وقدمها نجله الدكتور أحمد طالب.

وسبب اختيارنا لهذه المدونة بالذات عائد إلى أسباب:

* قدّرنا أنها فيها قوة حجاجية إقناعية، وأنها شاملة لكل مناحي الحياة اليومية.

* دور البشير الإبراهيمي البارز وخطبه في تخليص الجزائر من الخرافة، وكذا صدقه وحبه للّغة والوطن.

وحصرنا البحث في أربع خطب حتى نتمكن من دراستها بشكل معمق، اخترناها متنوعة المضامين (دينية واجتماعية وسياسية).

وحاولنا من خلال البحث تحقيق العديد من الأهداف أهمها:

* الإحاطة بمختلف المفاهيم والعلاقات التي تجمع بين الخطاب كنشاط تواصلي وبين الوظيفة التي تؤديها اللغة أثناء الاستعمال والتداول.

* رصد أهم الاستراتيجيات الإقناعية وآلياتها الحجاجية التي تساهم في التأثير في المتلقي وإقناعه.

* استقراء آليات الإقناع التي وظفها البشير في سبيل تحقيق أهدافه الإصلاحية.

* بيان قدرة البشير في بلورة واستثمار المعارف اللّغوية لتحقيق الوظيفة الإقناعية.

* الكشف عن القيم والمقاصد النبيلة التي اشتملت عليها الخطب.

ولبلوغ هذه الأهداف اقتضت منهجية الدراسة أن يقسم البحث إلى ثلاثة فصول تتقدمهم مقدمة وتتلوهم خاتمة بنتائج البحث وكذا ملق بجمع الخطب محل الدراسة وفهرس للموضوعات . أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان:الإطار المفاهيمي للبحث

وقفنا فيه على أربعة عناوين رئيسة أولا: التّداولية مفهومها، نشأتها وتطورها، أهم مباحثها ومقوماتها ثانيا: التّداولية وعلاقتها بالخطاب، ثالثا: الخطاب والتواصل عرفنا من خلاله الخطاب وعلاقته بالنص ثم أنواع الخطاب، رابعا: إستراتيجيات التّواصل اللّغوي وتطرّقنا فيه إلى مفهوم الإستراتيجية، أنواعها ،مركّزين على الإستراتيجية الإقناعية من خلال تعريف الإقناع ورصد أهم الإستراتيجيات الإقناعية. أما الفصل الثاني فقد عنون بالآليات اللّغوية في خطب البشير الإبراهيمي

ارتئينا أن نجمع فيه الآليات اللغّوية بشقّيها النّحوي والبلاغي التي اعتمدها الإبراهيمي في حجاجه لتحقيق الإقناع ،أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان :الآليات شبه المنطقية في خطب البشير الإبراهيمي وقد ضمّ الأدوات اللّغوية للسلّم الحجاجي وكذا آلياته،وتجدر الإشارة الى أننا قد اعتمدنا في كلا الفصلين الأخيرين طريقة التّنظير والتّطبيق في الوقت نفسه لتجنب الإطناب.

وقد كان المنهج المتّبع هو المنهج التّداولي، ذلك أنه المنهج الأصلح لمثل هذه الدراسة، وحاولنا قدر الإمكان الاستفادة من إمكانياته التحليلية، كونه يتأسس على جملة من المعارف اللّسانية والفلسفية التي تساعد على الوصول إلى غايات الكلام.

وقد كان محتما الإعتماد على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة، ولعل أبرزها هي آثار الإبراهيمي المذكورة، كتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، وكتب في الحجاج ونذكر منها كتاب (نظرية أفعال الكلام) لأوستين، وكتاب (الحجاج في الشعر العربي القديم) لسامية الدريدي وغيرها، أما في البلاغة فاعتمدنا كتب أسرار البلاغة للجرجاني وغيرها من المراجع.

أما عن صعوبات البحث فتتلخص أساسا في كثرة المؤلفات في هذا المجال، مع كثرة اختلاف المصطلحات وتشعباتها واختلاف المفاهيم بين الدارسين، مع ضيق الوقت، وهو أهم عامل يساهم في بلبلة الباحث.

وفي الأخير، لا نزعم أننا بلغنا الغاية، أو أن ما نقوله ونراه صحيح بالضرورة، إذ هذا لا يعدو كونه عمل طالب ما يزال في بداية مشواره البحثي.

ويعود الفضل هنا لله وحده، ثم للأستاذ المشرف (علي طرش) الذي قدم كل ما استطاعه للوصول إلى هذه النتيجة. كما لا يفوتني أن أعترف بفضل الأستاذ (عمار بعداش) لما قدمه لي من دعم وشروح في هذا المجال، وأخيرا الأستاذ (عبد الحليم مخالفة) والأستاذ (كمال حملاوي)، على موافقتهما على مناقشة البحث وصبرهما على أخطائي.

الفصل الأول

مفاهيم عامة في التداولية
واستراتيجيات الإقناع

1- التداولية:

1-1-: المفهوم المعجمي:

عرف مصطلح التداولية العديد من التعاريف إلا أن جلّ المعاجم قد اتفقت على أن الجذر اللغوي للمصطلح هو الفعل الثلاثي (دول).

- فقد جاء في لسان العرب "تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة."(1)

- كما جاء في أساس البلاغة: "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكثرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم، ومرة عليهم، ويقال: الدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم أي: مرة لهذا ومرة لذاك، والماشي يداول بين قدميه أي: يراوح بينهما."(2)

ووردت في (مقاييس اللغة) على أصلين: " أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللُّغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة و الدُولة لغتان.

ويقال: الدُولة في المال، والدَولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا على ذلك، ومن ذاك إلى هذا."(3)

الملاحظ على المعاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر (دَوَلَ) على معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر؛ أم من حال إلى حال أخرى.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 11، ط3، 1994، ص 252-253.

(2) أبي القاسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 1988، ج1، ص 303.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، ج2، 1991، ص 314.

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

التداولية: ترجمة للمصطلحين (pragmatics) الإنجليزي، و (pragmatique) الفرنسي، وهو مصطلح اقترن بحقل علمي جديد، إلا أن استعماله يمكن أن يؤرخ له منذ القدم، حيث كانت تستعمل كلمة (pragmaticus) اللاتينية منذ 1440م، ومعناها عملي.(1)

ويعد الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس) من الأوائل الذين استعملوا المصطلح عام 1938 في كتابه " أسس نظرية العلامات" إذ يقول " التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"(2) وهو تعريف حاول فيه تجاوز المجال اللساني إلى غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السميائي).

أما فرانسيس جاك (Francis Jaques) فيعرفها بقوله: " تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا." (3).والمقصود هنا أن مجال البحث في الدراسات التداولية لا يعني فقط بالدلالة اللغوية بل يتجاوزها بالبحث في سياقات استعمالها .ويعرّفها كل من ديلر (AM. Diller) وفرانسو ريكاناتي (F recanti) كالآتي: " تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسيمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي"(4).

فالتداولية إذن، هي العلم الذي يهتم بدراسة الاستعمال اللغوي في إطاره الاجتماعي، ووظائف الأقوال اللغوية أثناء التواصل.

ونجد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمان يحدد المعنى الاصطلاحي للتداولية بقوله: " هو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصّتهم... فالمقصود بمجال التداول في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"(5).

---

(1) نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي "المبادئ والإجراء"، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص 18.

(2) ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، المغرب، ط1، 1987، ص12.

(3) م ن، ص 8.

(4) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غولدمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، الرّباط، ط 1، 2007، ص 33.

(5) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، (د ت)، ص 244.

نصل من خلال هذه التعاريف إلى أنه من الصعوبة وضع مفهوم محدّد للتّداولية؛ وذلك لاستنادها إلى الكثير من المعارف الإنسانية مما يجعل مجال البحث فيها واسعا وخصبا تتجاذبه علوم ومعارف شتّى، لكن في معناها العام هي دراسة اللغة أثناء الاستعمال والتداول.

1-3- نشأة التداولية وتطورها:

1-3-1- الإرهاصات:

1-3-1-1- عند شارل ساندرس بيرس(Peirce):

يعتبر الفيلسوف والسيميائي تشالز ساندرس بيرس من الأوائل الذين أحدثوا تطورا في المجال اللساني والفلسفي، حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيميوطيقا" [1]، وارتبطت كذلك بميدان المعرفة والمنهج العلمي، فقد ظهرت ملامح التداولية الأولى مع ظهور مقالة " كيف نجعل أفكارنا واضحة" عام 1878م[2]، ثم بعد عامين من هذا، أضاف بأن أي فكرة تكمن بالفعل في تأثيرها على أفعالنا، والبراغماتية تجعل التفكير في علاقة بالفعل، لكنها تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشيء، هي معنى ذلك الشيء [3]، وقد ربط بيرس في هذه المرحلة بين البراغماتية والفينومينولوجيا، وذكر أن المعيار الحقيقي للمعنى يجب ألا يشير إلى الفعل، وإنما إلى الغاية القصوى التي تحكم ذلك الفعل وتوجهه[4].

ويمكن أن نلخص ما أسهم به بيرس في نشأة الدرس اللغوي في:

1- التمييز بين التعبير بعدّه نمطا، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال.

2- التمييز بين العلامة والرمز والإشارة والأيقونة. ودرس الدليل، حيث يقوم عنده على مبدأ التأويل، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه فالرّمز يمتاز بعلاقة الاعتباطية التي تربطه بموضوعه كأصوات لغة ما، والأيقونة تطابق

(1) ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص 11.

(2) نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ص 172.

(3) الرجع نفسه، ص 173.

(4) المرجع نفسه، ص 173.

الموضوع صوريا كالصوت المحاكي للطبيعة،والأمارة (المؤشر) تقوم على علاقة العلّة بالمعلول كعلاقة الدّخان بالنّار[1].

1-3-1-2- عند تشالز موريس (Charles Morris):

تعد سنة 1938 بمثابة الميلاد الأول لمصطلح التدوالية ويعود الفضل إلى الفيلسوف الأمريكي تشالز موريس (Charles Morris) ، حيث نجده يعرّف التدوالية بأنها "جزء من السّيمائية، وأحد مكوناتها، حيث تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات، وبين مستعمليها، أو مفسريها: (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)، وتحديد مايترتب عن هذه العلامات"[2].

وقد ميّز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللّغة وهي:

* **علم التركيب**: وهو بالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات.

* **علم الدلالة**: وهو الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه.

* **التداولية**: وهي التي تعنى في رأي "موريس" بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها والذي استقر في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان(الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل[3].

يمكننا القول بأنه رغم كون شارل بيرس هو مبتدع التداولية غير أن تلميذه تشالز موريس هو الذي أدخلها ضمن إطار نظري يحدد فيه المصطلح العلاقة بين العلامات ومستعمليها.

---

(1) ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 9.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009، ص 67.

(3) آن ربول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوش، محمد الشباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29.

1-3-1-3- عند فينجنشتاين (Ludwig Wittgenstin):

يعد لودوين فينجنشتاين من الفلاسفة الذين كرّسوا جهودهم لدراسة اللغة المثلى لوصف العالم، ثم انظم إلى فلاسفة أكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية، وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، وألعاب اللغة[1].

1- **الدلالة:** أفاد فينجنشتاين أنه لايجب الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر، لأن هذا يعني الخلط بين الجملة والقول، كما حدد معنى الجملة الحقيقي الذي يمكن مشاهدته، والتّحقق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة.

2- **القاعدة:** يرى أنه يجب النظر في هذا المفهوم من حيث وجوهه الاجتماعية والاستبدالية والنحوية، فوجه القاعدة الاجتماعية يكمن في أنها تستدرج إلى التواضع والإصلاح... وهي نماذج ومثل صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين تسمح بتنويع النشاط اللغوي.

3- **ألعاب اللغة:** في نظر فينجنشتاين أن اللّعبة اللّغوية تشبه شكلا من أشكال الحياة، أي أنه لا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما، بل ثمة عدد لا حصر له من الطرق:(الأمر، الوصف، التمثيل...)، ويمثل مسعاه عموما في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة وتبيان تطور الألعاب اللغوية بتطور النشاطات الاجتماعية[2].

1-3-2- مرحلة الاكتمال والنضج:

لم تصبح التداولية مجالا يعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم: أوستن " Austin J.L" وسيرل " J.R Searle"، جرايس " H.P Grice" وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية

(1) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 183.

(2) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 184.

الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التّداولية أيضا[1].

1-3-2-1- أوستين (John Langchw. Austin):

يعد أوستن مؤسس نظرية أفعال الكلام، وواضع المصطلح، وذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الإثني عشر التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955م[2]، وقد انطلق من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف واقع؛ بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة؛ إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها"[3].

ومن خلال ما سبق يمكن تلخيص فكر أوستين في نقطتين اثنتين:

- النقطة الأولى: تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.
- النقطة الثانية: تتمثل في إقراره بأن كل قول annoncé عبارة عن عمل[4].

لقد شكّلت الجهود والأفكار التي جاء بها أوستن بداية للنهوض واستقلال التداولية عن العلوم الأخرى، وكانت الانطلاقة مع نظرية أفعال الكلام، التي تعد أول نظرية لسانية تداولية ومنطلق لنظريات أخرى.

1-3-2-2- سيرل (John Read Searle):

يعد سيرل (Searle) أحد رواد نظرية أفعال اللغة، وقد نحا نفس منحى أوستن فيما ذهب إليه بالنسبة للأفعال المنجزة، إذ لا يمكن إنجاز أفعال لغوية إلّا من خلال علاقاتها بالمقاطع الأخرى في الجمل، أو النص إلا أن سيرل وجه بعض الانتقادات الرامية إلى وجود بعض النقائص في دراسات أوستين للأفعال اللغوية التي لم تبن على

---

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 2002، ص 9-10.
(2) المرجع نفسه، ص 60.
(3) آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد، ص 30.
(4) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

أصول واضحة، بالإضافة إلى وجود بعض التداخل بين مجموعات الأفعال اللّغوية، نظرا لعدم وضوح الأساس الذي قسّم من خلاله هذه الأفعال .وكذلك فإن جهود أوستين في هذا المجال كانت موجهة نحو دراسة الألفاظ وليس الأفعال، أي دراسة لفظ الفعل وليس الفعل منجزا بكل ما يحمله من حركية ومادية، وهذا ما أشار إليه سيرل عندما أكد على أن أصل المشكلة في تقسيم أوستين أنه عبارة عن تقسيم لألفاظ الأفعال الموضوعة للدلالة على الأفعال الكلامية وليس نظرة إلى ذات تلك الأفعال[1].

ومن ثم فإن مساهمات سيرل في هذا المجال تعد مهمّة وفعّالة .وهذا لانطلاقه من أن نظرية الأفعال الكلامية لا تكون إلا بالرجوع إلى الفعل ومن هذا المنطلق بالذات عمل على تحليل الفعل اللغوي إلى قوى متضمنة في القول وهو أهم ما جاء به سيرل في مجال نظرية أفعال الكلام[2].

1-3-2-3- جرايس (Paule Grice) :

تدرج تداولية جرايس (Grice) ضمن تداولية الدرجة الثانية وينطلق "جرايس" من تمييزه لثلاثة مظاهر للدلالة التواضعية والإشارة والقصد، وقد ارتكز جرايس " Grice" بدرجة كبيرة على إمكانيتين لم يصنفهما هؤلاء المنظرون: "القدرة على اكتساب حالات ذهنية ،والقدرة على نسبتها إلى الآخرين ،واقترح جرايس تعريفا للدلالة غير الطبيعية: "أن تقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبة بفضل هذا المخاطب لنيته"[3].

وهكذا يشدّد جرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا[4].

1-4- مباحث التداولية:

(1) نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 193-194.

(2) المرجع نفسه، ص 194.

(3) آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد، ص 53.

(4) المرجع نفسه، ص نفسها.

يقتضي الولوج إلى أي علم من العلوم الإنسانية أو اللغوية وسائل إجرائية للإحاطة بموضوع البحث، والتداولية باعتبارها علم يدرس اللّغة في سياقات استعمالها المختلفة تضم مجموعة من المفاهيم أهمها:

1-4-1- نظرية أفعال الكلام Speak acts theory:

ارتبطت نظرية أفعال الكلام بمؤسسها الفيلسوف الإنجليزي أوستن وقد عرفت بالعديد من التسميات منها: نظرية الحدث اللغوي والنظرية الإنجازية ونظرية الفعل الكلامي speak acts وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان "ج ل أوستن" وتلميذه "ج سيرل" فإن: الفعل الكلامي يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فـ " الفعل الكلامي" يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة"[1].

وقد ميز أوستن بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية:

1- الفعل اللفظي Locutionaryact: ويتكون من النطق بأصوات لغوية ينظمها تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد هو المعنى الحرفي أو الأصلي.

2- الفعل الغرضي أو الإنجازي Illocutionaryact: ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والتحذير والأمر...

3- الفعل التأثيري Perlocutionary: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا [2]، كما قام أوستين بتصنيف العبارات المتلفظ بها والمصنفة تبعا لقوة فعل الكلام إلى[3]:

---

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 10.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 68.

(3) جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1991، ص 173.

-1- أفعال الأحكام Verdictives: وهي التي تعبر كما يدل المصطلح عن حكم يصدره محلف، أو محكم، أو حكم، وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية أو ظنية،.....، يقدر...

-2- أفعال القرارات Exercitives: وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضده مثل يأذن، يطرد، يجرم...

-3- أفعال التعهد Commisséves: وهي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزام نفسه به مثل: أعد، أتعهد، أتعاقد على...

-4- أفعال السلوك Behabitives: وهي التي تعبر عن رد فعل السلوك الآخرين ومواقفهم، ومصائرهم كالاعتذار، الشكر، التعاطف...

-5- أفعال الإيضاح Expesitives: وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل الإثبات، والإنكار والمطابقة...[1].

1-4-2- الإشاريات Indexical:

وهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلا أنه مرجع غير ثابت، لذلك يتفق النحاة جميعا على أن الأسماء المبهمة يعني بها أسماء الإشارة وقد خص بعضهم المبهمات بأسماء الإشارة وحدها[2].

وتصنف الإشاريات باعتبارها وحدات لغوية إلى عدة أصناف منها:

1- الإشاريات الشخصية: وهي بشكل عاما، الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب[3].

---

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69-70.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)، دار الكتب الوطني، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2004، ص 79.

(3) المرجع نفسه، ص 82.

2- الإشاريات الزمانية: وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم هو مركز الإشارة deicticcenter الزمانية في الكلام فإذا لم يعرف هذا الزمان.... الأمر على المتلقي.

3-الإشاريات المكانية: ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدًا أو جهة.

4-الإشاريات الخطابية: قد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق anaphor أو لاحق cataphora ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات.

ولكن منهم من ميز بين النوعين فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه....أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع بل تخلق المرجع.

5- الإشاريات الاجتماعية: وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية formaal أو علاقة ألفة ومودة intinacy [1].

3- الاستلزام الحواري conversational implicature

يقصد به أن يستعمل المتكلم آلية لا يرتبط فيها اللفظ برابط لغوي، بل يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن وأضرب الاستدلا ل العقلي كأن يردّ المخاطب على السائل ردّا لا يصلح حرفيا أن يكون جوابا عما سئل عنه في مقام التعريض وهو المصطلح عليه بالاستلزام الحواري[2]، وقد رأى "جرايس" " Grice" أن الناس في حديثهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال "what said" وما يقصد

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص (19، 21، 24، 25).

(2) نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، (د ت)، عدد 17، ص 199.

what is meand وقد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون principles cooperative بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام يشمل على أربعة مبادئ هي:

1- مبدأ الكم Quantity: جعل الإسهام في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقصان.

2- مبدأ الكيف Quality: يجب التأكد من قول ما هو صحيح وتجنب ما ليس له دليل.

3- مبدأ المناسبة reevance: جعل الكلام ذو علاقة بالموضوع.

4- مبدأ الطريقة Manner: وهو ضرورة الوضوح في الكلام وتجنب الغموض[1].

1-4-5- الافتراض المسبق Présupposition:

ينتمي الافتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجيةِ التداولية وهو يحدد على أساس معطيات لغوية بين المتكلم والمستمع" ويرى التّداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليميات didactique تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس يتم الانطلاق منه والبناء عليه، أما مظاهر سوء التفاهم المنطوية تحت اسم التواصل السيئ، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي[2].

وهذا يعني أن الافتراض المسبق هو جملة المعلومات المشتركة بين المتكلم، والمستمع، فالمتكلم يوجه حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض أنه معلوم لديه.

1-5 مقومات التداولية:

تستعين التداولية باعتبارها نظرية ذات خلفية فكرية في مقارباتها على ثلاث مفاهيم مهمة هي:

1-5-1 مفهوم الفعل:

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33-34.

(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

ويتضمن كون اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم بل تخدم انجاز الأفعال فالكلام هو أن نفعل، بمعنى واضح هو فعل في الآخرين، ويعني غير ظاهر ولكنه واقعي: تدشين معنى والقيام على كل حال بفعل الكلام إذ يوجه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة، وأكثر شمولية للتفاعل والتسوية.

1-5-2 مفهوم السياق:

يعتبر السياق من بين العناصر المهمة في عملية التواصل ويتميز بخصائص تتصل بوضعية الخطاب بصفة مباشرة، كما تبرز قيمته أيضا في خطى التأليف إذ يشكل إلى جانب التخاطب أهم مقومات التداولية نظرا لأهميته في دراسة العلاقات بين الرموز والعلامات، والمستعملين لها[1].

ونظرا لأهميته فإنه" يضطلع بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات فالسياق عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى، فيستغلها المتكلم باعتبارها آليات تكشف في تأويله حتى يستطيع الوصول إلى مبتغاه من مقاصد وأهداف[2].

1-5-3 الكفاءة:

ويقصد بها تماشيا مع المعنى الأصلي للكلمة انجاز الفعل في السياق وبصياغة مغايرة ومبسطة يمكن القول: إن الكفاءة هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، هذا الإسقاط الذي يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته، وبناء عليه تتحدد كفاءتهم التواصلية[3].

1-5-4 وظائف التداولية:

لعل أول تحديد لوظيفة التداولية في حقل اللسانيات هو تحديد "شالز موريس" " Charles Morris 1938" الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها والتداولية تهتم بعلاقة العلاقة بمؤوليها [1]، أي أن وظيفتها

---

(1) فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،2000،م، ص 215.

(2) حافظ إسماعيل علوي، التداولية علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص 363.

(3) نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 30.

توجهت إلى دراسة إلى استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة التي هي من اختصاصات اللّسانيات كما توجهت إلى الاهتمام بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين التكلم والمخاطب والتي يتبع فيها المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار.

فهي تدرس استعمال اللغة في السياق وتوقف شتى ماهر التأويل اللغوية على السياق، فالجهة الواحدة يمكن أن تعبر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من السياق[2].

كما نجدها تهتم بالبحث عن الأسباب التي تتظافر لتؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء إجراء المحادثة أو التخاطب وعموما فالتداولية تولى اهتماما بدراسة معنى الملفوظات في السياق بعيدا عن وصف الجمل دلاليا والتركيز على وظيفة حدث اللغة المحقق في الملفوظ، ذلك أنها ترى اللغة نشاطا كلاميا تتحكم فيه شروط ذاتية وموضوعية.

2- التداولية والخطاب:

تتعامل التداولية مع النص الأدبي باعتباره خطابا وملفوظا لغويا ذا كلية عضوية، سواء كان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة والسياق المقامي، والأداء الإنجازي وتدرس مكوناته التلفظية السياقية ... وتربطه أيضا بالحوارية والمقصدية[3].

فهي بذلك علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال وعلى هذا تعد التداولية مجالا جديدا في حقل الدراسات الإنسانية لا في مجال اللسانيات فحسب فهي:" تخصص يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما تعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث" [4]. وهذا

---

(1) عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقيا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ص 78.

(2) المرجع نفسه، ص 79.

(3) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015م، ص 14.

(4) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 1.

يفرض علينا عند انجاز تداولية خطاب، تخطي الاهتمامات الاجتماعية الابتدائية للتفاعل وتحليل المحادثة والنظر خلف الأشكال والبنى الواردة في الخطاب والتركيز حثيثا على مفاهيم نفسية مثل المعرفة الخلفية والمعتقدات والتطلعات ففي تداولية الخطاب نكون مجبرين على استطلاع ما في ذهن المتكلم أو الكاتب[1].

وعليه فإن التداولية تهتم بالدرجة الأولى على البعد الاستعمالي والإنجازي للكلام وللغة الخطاب، آخذة بعين الاعتبار كلاً من المتكلم والسّياق الذي ورد فيه.

وبالتالي فإن التداولية يمكن عدها من هذا القبيل نظرية استعمالية وتخاطبية، من حيث تركيزها على اللغة في الاستعمال وعلى وصف شروط التبليغ والتواصل التي تحكم المتكلمين ومقاصدهم من وراء استعمال السياقات اللغوية والمقامات الممكنة التي ينجز ضمنها موقف التواصل، وهو ما يذهب إليه أحد الباحثين في كون التداولية مذهبا لسانيا "يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب"[2].

3- الخطاب والتواصل:

3-1 مفهوم الخطاب:

3-1-1 لغة:

جاء في "لسان العرب": (الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، والخطبة مصدر خَطَبَ: ما يخطب به من الكلام وخَطَبَ الخَاطبُ على المنبر خَطَابَةً بالفتح، وخُطبة بالضم، وذلك الكلامُ: خُطبة أيضا أو هي الكلام المنثور والمسَجَّع ونحوه ورجل خطيب: حَسَنُ الخُطبة)[3].

(1) جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص 128.

(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 5.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة خطب، ص 256.

والخطاب في معجم الوسيط هو: (خاطبه) مخاطبة وخطابًا: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجه إليه كلامًا، والخطاب الكلام وفي القرآن الكريم:" فقال أكفلنيهَا وعزني في الخطاب" (ص الآية 23)[1].

والخطاب أيضا هو: (المواجهة بالكلام أو ما يخاطب به الرجل صاحبه ونقيضه الجواب)[2].

الملاحظ على المعنى اللغوي للخطاب في المعاجم العربية أنه يقصد به الكلام المتبادل بين المتخاطبين.

وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، فمنها ما جاء على صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان: الآية 63)، والمصدر في قوله تعالى: ﴿وشَددنا مُلكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (ص: الآية 20).

3-1-2 اصطلاحا:

على الرغم من تعدد المفاهيم واختلاف آراء الباحثين حول مفهوم الخطاب وهذا راجع بالدّرجة الأولى إلى تنوع المناهج، والاتجاهات اللّغوية، إلا أنّه يمكننا توضيح أبعاده الاصطلاحية انطلاقا من كونه" ليس مجموعة من العبارات المنفصلة عن بعضها البعض، لكنه تجمعات لأقوال، أو جمل، أو عبارات يتم تشريعها في سياق اجتماعي معين، فيحدّدها هذا السياق"[3].

إذا فمفهوم الخطاب في الدراسات الحديثة يقتضي شرطين متلازمين[4]:

الأول: أنه ذلك الشكل اللّغوي الذي يتجاوز الجملة، بناءً على التعريف السابق لـ "سارة ميلز" والخطاب بهذا المفهوم يرادف مصطلح الملفوظ.

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج1، 1960م، مادة (خَطَبَ).

(2) محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، دار الملايين، بيروت، 1987م، مادة (خَطَبَ).

(3) سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص 8.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 37.

الثاني: أنه ذلك الشكل اللغوي –بالتحديد الملفوظ – الموجه إلى الغير في سياق محدد، لإفهامه قصدا معينا، بناء على هذا السياق الذي ورد فيه، وبهدف تحقيق عملية تواصلية وهو الشّق الذي ستركز عليه في وضع مفهوم الخطاب.

–فبينفينست يرى أن الخطاب هو: " أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود مستمع عند الأول نية التأثير في الثاني"[1].

كما يعرفه الآمدي فيقول أنه: " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2].

ويؤكد التعريف الآتي على الصفة التواصلية للخطاب حيث" يعد خطابًا كل ملفوظ يشكل وحده تواصلية قائمة الذات"[3].

أما الدكتور طه عبد الرحمن فيقدم تعريفا شاملا للخطاب يقول فيه: "إن المنطوق به أي الخطاب الذي يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاب، إذ حد

الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا"[4].

فالخطاب حسب التعريفات السابقة –يشمل الملفوظ والمكتوب، كما يشمل الجملة ويتجاوزها، وهو ذو بعد تواصلي حيث يربط في الخطاب بين البينة اللّغوية وبين الظّروف المقامية، ويشترط توفر معارف (عامة، مقامية، سياقية) تبرر إنتاج الخطاب ويحقق التواصل بين المتخاطبين.

3–2 الفرق بين النص والخطاب:

(1) فرحات بدري الحربي، الأسلوبية في النقد الغربي الحديث، دراسة تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، 2003م، ص 39–40.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص36.

(3) أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص 215.

(4) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص215.

اكتسب مصطلح الخطاب عدّة دلالات في اللّغات الأوروبية، تحيل إلى مصطلحات كما أنها تتداخل مع بعض المفاهيم التي تقاربها في الوظيفة مثل الكتابة والعمل الأدبي والقراءة والنص، وهذا الأخير يعد أكثر تداخلا مع الخطاب إذ أن الكثير من النقاد لا يفرقون بينهما[1].

وقد سبق وأشرنا أن مفهوم الخطاب قد تنوع لتنوع المناهج الحديثة وقد عرّفه أحد الباحثين بأنه "حدث لغوي يرسله متكلم محدد، نحو مخاطب محدد، قصد إفادته بمعلومات محدد، في مقام محدد وباستعمال وسيلة تبليغية محددة، والانطلاق من ظروف وأوضاع مشتركة بينهما[2].

أما النص فقد عرفه فاولر(Fouler) بأنه عبارة عن "البنية السطحية النصية الأكثر إدراكا ومعاينة"[3]. والمقصود بالبنية السطحية المتوالية من الجمل، يترابط بعضها مع بعض على نحو يشكل استمرارا وانسجاما على صعيد تلك المتوالية[4].

وإذا أردنا تحديد الفرق بين الخطاب والنص، نقول إن الخطاب يفترض حضور سامع يتلقى هذا الخطاب لحظة إنتاجه، بينما يتوجه النص إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق القراءة، وهذا يعني أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المنطوقة أولاً، بينما النص مدونة مكتوبة[5]. وهو ما يؤكد على أنّ مفهوم النص (the text) يتقاطع مع مفهوم الخطاب، ولكنه لا يترادف معه لأن الخطاب يباين النص من جهة أن مرجع الخطاب

---

(1) قادري عليمة، التداولية وصيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي"، جامعة قنسطينة، الجزائر، ص 600.

(2) بشير إبرير الشريف بوشحدان وآخرون، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، الجزائر، ص 111-112.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 210.

(4) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي "النص والسياق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م، ص12.

(5) بشير إبرير، الشريف بوشحدان، مرجع سابق ص 12.

خارجي مقامي، يتجلى في شبكة العلاقات القائمة بين أطراف العملية التخاطبية والواقع من خلال اللغة، أما مرجع النص فداخلي مقامي يرتبط بالسياق من خلال علاقات تجسدها عملية الكتابة والقراءة[1].

إضافة إلى هذه الفروق التي تقصي إمكانية الترادف بين المصطلحين ولكنها لا تنفي العلاقة بينهما، قد يكون النص طويلا أو قصيرا لكن الخطاب يوحي بطول معين، كما يتميز النص باتساق الشكل وانسجام الأفكار، بينما يطبع الخطاب انسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى [2]. لذلك عرّف الخطاب بأنه "وحدة نص مطولة، تحتوي على شكل من أشكال التنظيم الداخلي، كالانسجام في المعنى والتماسك في القالب"[3].

بناء على ما سبق يمكن القول أن الخطاب بوصفه وحدة تواصلية أكبر من الجملة، قد تعدى الوسائل اللغوية والقضايا البلاغية ولجأ إلى آليات جديدة تسهم في تحديد العلاقات بين وحداته اللغوية ومدى مناسبة بعضها للبعض الآخر، بناء على اتساق تراكيبها وانسجام أفكارها وترابط محتوياتها، ضمن بنيات تخاطبية إضافة إلى سعيها لتحقيق فعالية الخطاب بناء على نوع الأساليب التواصلية.

3-3 أنواع الخطاب:

يقوم الخطاب على الاتصال بين طرفين: أحدهما الباث وثانيهما المتلقي، وبين الأول والثاني هناك رسالة هدفها الاستقرار في ذهن المتلقي، وبطبيعة الحال يتنوع الخطاب بتنوع طبيعة الرسالة المراد إبلاغها، ويمكن أن نتعرف على نوع الخطاب من الموضوع والأسلوب والمصطلحات الموظفة فكان بذلك: الخطاب الأدبي، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الخطاب العلمي، الخطاب الإشهاري، الخطاب الإصلاحي.

3-3-1 الخطاب الأدبي (le discours littéraire):

(1) عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة، السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 175.

(2) سارة ميلز، الخطاب، ص 05.

(3) المرجع نفسه، ص 07.

إن ما يميز هذا الخطاب هو علاقاته الافتراضية بين ما هو موجود في البنية الداخلية، وبين ما هو متحقق في الواقع الخارجي وذلك أنه يعالج الأحداث والوقائع في شكل مواضيع أو قضايا بطريقة فنية جمالية تؤطرها الأجناس الأدبية، سواء أكانت شعرية أم نثرية,

3-3-2 الخطاب السياسي (le discours politique)[1]

يعتبر الخطاب السياسي خطابا اقناعيا يهدف إلى التعبير عن الآراء واقتراح الأفكار والمواقف حول القضايا التي تتعلق بشؤون الدولة وأمور الحكم، وأحوال الأفراد في علاقتهم مع الأنظمة الحاكمة، ويسعى إلى حمل المخاطب على القبول والتسليم بصدقية الدعوى عن طريق توظيف حجج وبراهين وهو ما يغلب الأسلوب الخبري التقريري.

3-3-3 الخطاب العلمي (le discours scientifique)[2]

يتميز هذا الخطاب بأن طاقة الإخبار فيه مهيمنة على أجزاءه كلّها، لأنّه يقتصر على تقديم حقائق تتفق اتفاقا تامًا مع العالم الواقعي، فتكون الدّقة والموضوعية في استعمال المصطلحات الخاصة بالحقل العلمي الذي يبحث فيه (التخصص) كفيلة بإبراز أهم خصائص هذا النمط من الخطابات ، وقد يتعدى الخطاب المستوى التعليمي من خلال تدرجة في عملية طرح الحقائق من الأبسط إلى الأعقد، لأنه في هذه المرحلة لا يفترض في من يستقبل الخطاب أن تكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها الخطاب العلمي.

3-3-4 الخطاب الإشهاري le discours publicitaire:[3]

(1) www.bac.com/t6030-topic.

(2) روربرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر. تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص417.

(3) العقاب فتيحة، فنية وفاعلية العلامات في الخطاب الإشهاري- دراسة سيميائية لتفكيك الخطاب الإشهاري، مقال نشر بالعدد 3 لمجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، جامعة محمد بوضياف، لمسيلة، الجزائر، ص 95.

وهو خطاب يهتم بالأبعاد السيميائية للعلامة سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، ويتم ذلك في إطار تداول الأفكار حسب تصورات المرسل وقناعاته الذاتية، على اعتبار أن ردود أفعال المرسل إليه تكون مؤجلة.

3-3-5 الخطاب الديني le discours religieux:

ويهتم هذا الخطاب الإصلاحي بقضايا المجتمع في أبعادها العقائدية من خلال معالجة مسائل العبادات والمعاملات.

3-3-6 الخطاب الإصلاحي:

يعرّف الخطاب الإصلاحي على أنه الكلام الموجه سواء كان شفاهيا أو مكتوبا، قصد التأثير في الناس وحثهم على التغيير بالعودة بالدين والمجتمع إلى الأصل تمثلا بمجتمع الوحي في جميع مناحيه [1]. والخطاب الإصلاحي كغيره من أنماط الخطاب الأخرى يهدف إلى الإقناع والتأثير من خلال ما يستعمله من حجة وبرهان واستدلال، لكن نجد حجته مستمدة من مرجعية دينية أولها الكتاب وثانيها السنة النبوية وثالثها منعرج السلف الصالح، أما أغراضه فتتمثل في:

- الخطاب الإصلاحي الديني.
- الخطاب الإصلاحي الاجتماعي.
- الخطاب الإصلاحي السياسي.

4- إستراتيجيات التواصل اللغوي:

4-1- مفهوم الإستراتيجية:

(1) أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006م، ص 16.

يمارس الإنسان أفعالا كثيرة في حياته، يبتغي من ورائها تحقيق أهداف بعينها ولا يستطيع أن يمارس هذه الأعمال في وضع مستقل عن سياق المجتمع الذي ينتمي إليه؛ ولذلك فإنه يتخذ طريقة معينة يتمكن بها من تحقيق أهدافه[1]، وتسمى هذه الطريقة الاستراتيجية.

ويرجع استعمال هذا المصطلح في الأصل Stratégie إلى المجال العسكري وهو" علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع.... من أجل تحقيق هدف السياسة [2]. وهو مفهوم يشير إلى طرق الوصول إلى أهداف عسكرية.

أما الفيلسوف ميشيل فوكو فيوضح معنى الإستراتيجية بقوله "تستعمل كلمة الإستراتيجية عادة بثلاثة معان:

أولا: للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

ثانيا: للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين ولما يخال أن الآخرين يتصورون أنه تصرفه هو باختصار الطريقة التي يحاول بها التأثير على الغير.

ثالثا: للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام[3].

وهو مفهوم عملي أيضا يعتمد في تحديده لمصطلح الإستراتيجية على الطابع العقلي والذهني.

أما في علم اللغة النصي فالنّص اللغوي هو الإطار الذي تتجسد من خلاله الإستراتيجية وذلك في حالته التواصلية ونحن في هذا المقام ستركز على مصطلح الإستراتيجية الإقناعية للخطاب والتي ترتكز على مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف الإقناع والجارية عن وعي عند إنتاج الخطاب.

---

(1) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 52.

(2) الهيثم الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص66.

(3) ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، تر: جورج أبي صالح، مراجعة وشروح: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 200.

وقد أطلق النّقاد على إستراتيجية الخطاب مصطلح الاحتيال، واعتبروه سلاح المتكلم في مواجهة المخاطب للوصول إلى مبتغاه... فالإستراتيجية عملية يتعهدها المرسل، إذ يبنى خطابه على أساسها يتوخى فيها التخطيط والتنظيم من أجل إيصال خطاب مرتب، مترابط العناصر يتلقاها المرسل إليه فيعقل نوع الإستراتيجية المستخدمة من خلال الأدوات والوسائل التي وظفها المرسل مناسبة للسياق[1].

وبذلك يصير واضحا أن الاستراتيجيات تتوسط بين المهام التواصلية المستنبطة من التفاعل الاجتماعي وكذا أهداف المشاركين في التواصل من جهة، وبين الوسائل اللغوية من جهة أخرى.

4-2-أنواع الإستراتيجيات:

هناك العديد من الاستراتيجيات التي يعتد بها لمخاطب، حيث لا تكون هناك إستراتيجية معيارية يتقيد بها كل منتجي الخطاب، فاختيار الإستراتيجية يكون وفق عدّة محددات يراعيها المخاطب منها: طبيعة الموضوع وسياقه، وطبيعة المرسل إليه ومستوى فهمه، وكل هذه العناصر متغيرة من خطاب إلى آخر.

وقد تم تصنيف الإستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التّداولية بحسب ثلاث معايير:

أولا: المعيار الاجتماعي : ويتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب وقد تفرغ عن هذا المعيار إستراتيجيتان هما: الإستراتيجية التضامنية والتوجهية.

ثانيا: معيار شكل الخطاب: ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل وعن هذا المعيار تفرغت الإستراتيجية التلميحية.

ثالثا: معيار هدف الخطاب: وعنه تفرغت الإستراتيجية الإقناعية وسنحاول الوقوف على مفهوم كل إستراتيجية باختصار فيما يقع اهتمامنا الأكبر على الإستراتيجية الأخيرة (الإستراتيجية الإقناعية) موضوع الدراسة.

4-2-1 الإستراتيجية التضامنية:

هي الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل

(1) بنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتجيات الخطاب، ص 62-63.

إليه، وتقريبه[1]. وذلك لكسب الولاء والمحبة والتعاطف وتحسين صورته (المرسل) أمام المرسل إليه، وكذا تفعيل التضامن معه.

4-2-2 الإستراتيجية التوجيهية:

يمكننا تعريف الإستراتيجية التوجيهية بأنها الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعدّ التوجيه هنا فعلًا لغويا فحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعني بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي إذ أن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه[2].

4-2-3 الإستراتيجية التلميحية:

تعرّف الإستراتيجية التلميحية بأنّها الإستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير التصريح المباشر والدلالة الظاهرة بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين Implication والاقتضاء préxpposition مثلا) يحتاج معها المرسل إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي فهي إستراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام[3].

4-2-4 الإستراتيجية الإقناعية:

إن الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا مفطور على التواصل والتعايش مع غيره لتحقيق أغراض اجتماعية وسياسية... ويعرض أفكاره ويبدي رأيه ووجهة نظره، وحتى يبلغ ويحقق ذلك وجب عليه أن ينتهج استراتيجيات وأساليب للإقناع.

4-2-4-1 الإقناع لغة:

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 257.

(2) إدريس مقبول، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 215، 1435هـ/2014م، ص 549.

(3) المرجع نفسه، ص 551.

عند محاولة تحديد مفهوم الإقناع لابد من إرجاع الكلمة إلى أصلها اللغوي(قنع): قنع بنفسه قنعا وقناعة: رضي، والقنوع، السؤال والتذلل للمسألة، وقنع بالفتح، يقنع قنوعا: ذل للسؤال[1].

والإقناع في معجم الوسيط هو" قنع قنعا وقناعة رضي بما أعطى فهو قانع والجمع قنّع وقنيع وجمعها قنعاء، تقّنع تكلف القناعة، وأقنع بالفكرة أو الرأي قبله واطمئن إليه[2].

4-2-4-2 اصطلاحا:

عرف مصطلح الإقناع كغيره من المصطلحات المهمة التي يكثر حولها الجدل اهتماما ملحوظا وتباينا في التعاريف أبرزها: المفهوم الذي وضعه عامر مصباح والذي يرى فيه أن إلا قناع هو "عملية إيصال الأفكار والاتجاهات والقيم والمعلومات إما إيجابيا أو تصريحيا، عبر مراحل معينة وفي ظل شروط موضوعية وذاتية مساعدة وعن طريق الاتصال"[3].

ويعرّف أيضا على أنه" نشاط لساني مشحون بأنشطة فكرية تنتج عنها آثار سلوكية تتجسد في شكل مواقف مجاله الخطاب، ويرتكز على المنطق والحجة"[4].

وعليه فالإقناع هو محاولة تغيير مواقف وسلوكات أو معتقدات من خلال طرح أفكار وتوجهات و ذلك مراحل معينة وفي ظروف مقامية معينة وذلك لهدف التأثير على الآخرين من خلال النصح وتقديم الحجج.

وهنا تجدر الإشارة إلى ارتباط مفهوم الإقناع بمفهوم آخر وهو التأثير، ويكاد هذان المفهومان يكونان متلازمين فظاهر لفظ التأثير يشير إلى عملية تبدأ من المصدر لتصل المستقبل مع توفر إرادة لذلك في حين أن

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق ن ع)، ص 201-204.

(2) إبراهيم مصطفى و آخرون، معجم الوسيط، ماد قنع، ص 763.

(3) عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي "خلفيته النظرية وآلياته العملية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005م، ص 16.

(4) إبراهيم إبراهيمي، إستراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، منشورات بونا للبحوث والدراسات، ط 1، 2013م، ص 183.

مصطلح التأثر يشير إلى الحالة التي يؤول إليها المتلقى بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الخطاب وتفاعله معه[1].

فالتأثير إرادة وفعل لتغيير السلوك والاعتقادات أو الآراء، أو على الأقل، تعديلها، أو ترسيخ قيم وأفكار جديدة، أما التأثر، فهو النتيجة المحققة من وراء عملية التأثير، وبهذا ندرك أن التأثير مرادف للإقناع، والتأثر مرادف للاقتناع[2].

4-2-4-3 عناصر العملية الإقناعية:

حتى تتحقق العملية الإقناعية لابد من عناصر تقوم عليها وهذه العناصر تعد بمثابة الواسطة بين الإقناع وآلياته وهي[3]:

- المرسل:

ويقصد به إما شخص أو مجموعة من الأشخاص أو مؤسسة ما، تريد أن تؤثر في الآخرين، إذ أن هناك بعض من المتغيرات التي تتحكم في المرسل أثناء عملية الإقناع، وهي: إما دوافع اجتماعية أو سياسية وغيرها.

- الرسالة الإقناعية:

وهي الفكرة التي يريد المرسل نقلها إلى المستقبل والتأثير عليه، ولكي تكون الرسالة الإقناعية مؤثرة يجب أن تتوفر على: إثارة الانتباه، بساطة الأسلوب، اتساق بنيان الحجج.

- المتلقي:

ويقصد به الجمهور المستقبل للرسالة الإقناعية من طرف المرسل ومدى استجابتهم لها.

الوسيلة الإقناعية ويقصد بها الأداة الناقلة للرسالة الإقناعية.

4-2-4-4 إستراتيجيات الإقناع:

(1) عامر مصباح، الاقناع الاجتماعي"خلفيته النظرية والياته العملية، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص 18.

(3) المرجع نفسه، ص 25.

توجد ثلاث إستراتيجيات للإقناع نحاول أن نلخصها فيما يلي:

4-2-4-4-1 الإستراتيجية الدينامية النفسية:

ويعمد الواضعون لهذه الإستراتيجية إلى تحديد مجموعة خطية من المفاهيم المعبر عنها بالحاجات النفسية والدوافع والمعتقدات وتعتبر هذه العناصر بواعثا أساسية لسلوك الفرد، ومعيار كفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير.

4-2-4-4-2 الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية:

تقوم هذه الإستراتيجية على فكرة مفادها أن الثقافة تؤدي وظيفة حيوية في تشكيل السلوك البشري فهي تحمل في طياتها الأشكال السلوكية والقوالب الفكرية التي تطّبع عليها الفرد، إضافة إلى عملية التعلم الاجتماعي التي هي أحد أشكاله.

وانطلاقا من هذه الاعتبارات تبنى الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية في الإقناع والتأثير.

4-2-4-4-3 إستراتيجية إنشاء المعاني:

وتعتمد هذه الإستراتيجية على المعرفة وهي بذلك نتاج عملية تراكم المعلومات التي عرفها الإنسان منذ القدم واكتسب الإنسان من خلالها رموز متعددة[1].

(1) ينظر: عامر مصباح، المرجع السابق، ص 51، 52، 54، 55.

الفصل الثاني

الآليات اللغوية في خطب البشير الإبراهيمي

تمهيد:

يعد الحجاج أحد المباحث الرئيسة للتّداولية، وهو مجموعة من التّقنيات والآليات التي تحمل المتلقي على الإقتناع والتأثر. ومن هنا وجب علينا أن نوضّح الفرق بين هذين المصطلحين ونقاط التقاطع بينهما حتى نصل إلى تلك التّقنيات التي يستعين بها المرسل لتحقيق النتائج المرجوة من رسالته، وهدفها إقناع المتلقي والتأثير فيه بالأساس.

يشير مصطلح (Argue) في اللغة الإنجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب والعلّل التي يراها حجّة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي، أو سلوك[1].

وتظهر علاقة الحجاج بالإقناع انطلاقا من التّعريف اللّغوي للحجاج، إذ إنه يرتبط بالهدف منه، وهو الإقناع، كون الحجاج هو:

" بذل الجهد لغاية الإقناع"[2]

ومما تجب معرفته أن الإقناع مرتبط أساسا بالحجاج، وأن الحجاج قد يكون حجاجا جدليا، وقد يكون خطابيا، ولكن الإقناع الحادث في المحاورة الجدلية يسمى تبكيتا؛ لأن تلك المحاورة تقوم بين طرفين كلاهما يحاول تخطئة الآخر مستعملا البرهانيات من مقدمات وعلائق ونتائج صورية.

أما الإقناع الحادث في الحجاج الخطابي فهو تقريب بين المتحدث والمتلقي فقط[3]، وهو ما يبرر العلاقة الموجودة بين الحجاج والإقناع والتي " تتجسد أساسا في أن أهمية الحجاج تكمن فيما يولده من إقناع لدى

---

(1) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته – دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ص2.

(2) المرجع نفسه، ص4.

(3) هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي الشريف- دراسة في وسائل الإقناع – الأربعون النووية أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008، ص 107-108.

المتلقي، وهذا الإقناع لا يتأتى إلا باستعمال اللّغة، مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الحجاج وظيفة أساسية للغة، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية"[1]

وبهذا فإن المرسل لا يعمد من خلال الحجاج إلى مجرد إثارة انفعالات المرسل إليه، أو التحايل عليه، وإنما بهدف إقناعه.

وهذا ما يقودنا إلى نتيجة حتمية مفادها أن كل نص حجاجي هو نص إقناعي، وليس العكس، كما أن الحجاج والإقناع وجهان لعملة واحدة، فهما مرتبطان كارتباط النص بوظيفته.

1- الأدوات اللغوية:

والمقصود بالأدوات اللّغوية، تلك الأدوات التي تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج، وذلك لأنّنا «نتكلم عامة بقصد التأثير وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع، بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنّما يحصل بالوسائل الّلغوية وبإمكانات اللّغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم» [(2)]، ويمكن ذكر بعض هذه الأدوات فيما يلي:

1-1- ألفاظ التعليل:

وهي من الأدوات التي يوظفها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه [(3)]، وتشمل: المفعول لأجله، كي، اللّام، كلمة السبب... وكلّها تُوظف بهدف التبرير أو التعليل.

1-1-1- المفعول لأجله : وهو قلبي مفهم علّ ة ما قبله، ومشارك لعامله في وقته، وفاعله [(4)]، وتظهر حجاجيته في تبيان علّة ما قبله، كقول البشير الإبراهيمي: «فهو يكل إليه عهدًا ويستحفظه على أمانة، **اعتمادًا** على رشه، **وثقة** بإيمانه»[(1)].

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص 457.

(2) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص 56.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، ص 478.

(4) محمد أسعد النادري، نحو اللّغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007م، ص 451.

وقوله: «ما هذه الفوضى وهذا الاضطراب إلاّ **عقوبة** من الله لكم، **وغيرةً** منه على أحكامه»[2].

فقد جاءت المفاعيل في الأمثلة تبيانًا لعلل ما قبلها، ففي المثال الأول يستحفظه أمانة هي نتيجة والسبّب هو الرشد والإيمان والرّابط هو "المفعول اعتمادًا والمفعول ثقة"، وقس على ذلك المثال الثاني (عقوبة ... وغيرة) فهما الرّابطان بين العلّة والمعلول في الحالتين.

1-1-2- كي: وهي حرف مصدر ونصب واستقبال [3]، وتكمن حجاجيتها في أنها تستعمل لتعليل الفعل وتشترك معها "لأنّ" في الوظيفة الإقناعية. وقد توفرت النماذج المختارة من خُطب البشير الإبراهيمي على الحرف "لأنّ" الذي يأخذ وظيفة لكي، ومنه قول الإبراهيمي: «... وجعل بعد ذلك التحديد للفقير حقًّا معلومًا في مال الغني يدفعه الغني عن طيب نفس **لأنّه** يعتقد أنّه قربة إلى الله، ويأخذه الفقير بشرف **لأنّه** عطاء الله وحكمه...»[4].

1-1-3- اللاّم: وهي من الأدوات اللّغوية التي يستعملها المرسل لتعليل فعله، سواء أكانت هذه اللام كي أو لام التعليل، واللام الجارة، واللام الناصبة للفعل المضارع[5].

واللاّم من أكثر الأدوات استعمالاً في خطب البشير الإبراهيمي، والأدلة عليها أكثر من أنْ تُحصى، لذلك سوف نقتصر على أمثلة فقط، كما في قول الإبراهيمي: «... شرّع لهما الطلاق **ليستريح** من ذاق ذرعًا بصاحبه...»[6].

وقوله: «... **لكان** فقههم أكمل... و**لكنات** سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن...»[7].

---

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج3، 1954-1962م، ص 299.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 299.

(3) محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 317.

(4) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 95.

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 479.

(6) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 298.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص 298.

وقوله: «لم يتزوج إلاّ **ليجعل** الزوجة أداة يمين، أو **ليصدّقه** النّاس...»[1].

فاللاّم جاءت لتبيان السبب، وليس السبب دائمًا هو حجّة الخطيب، بل ربّما كانت حجة الضعيف، يأتي بها الخطيب لتبيان ضعفها كما في الأمثلة السابقة، حيث يُطلّق الزّوج زوجته لأتفه الأسباب وأهونها، ولأنّ الإبراهيمي يدعو إلى الإصلاح فقد جاء بها لتبيان هزالها وضعفها فيتجنبها النّاس، هذا عن المثال الثالث، أمّا اللام في المثال الثاني فهي حجّة البشير الإبراهيمي للفقهاء من أجل أن يكون فقههم أكمل ونفعهم للنّاس أعمّ، فقد دعاهم لاستخراج الأحكام من القرآن والاستفادة من الآثار ليكون فقههم أقرب إلى الواقع وأدعى للفهم والعمل به.

ومن أدوات التعليل أيضًا التلفظ بكلمة "السبب" في الخطاب ونجدها في قول البشير الإبراهيمي: «ولما كان من بعض **أسباب** الطلاق ما يزول، فتتجاوب النفسان...» [2]، وقوله: «ومن **أسباب** ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء...» [3]. أو ما جاء في معناها ،كما في قوله: «ويشقى أبوه بما تغرسه أمه في نفسه من بُغض...»[4].

والتعليل بذكر لفظ السّبب من أظهر الأنواع لاعتماده على وسيط مباشر لا يخفي على المتلقي، وهذا أيضًا من الأساليب التعليلية التي تكثر في الخطب لبساطته ووضوحه والغرض الحجاجي منه هو التسهيل على المتلقي، كما في قوله: «وينبثُّ **بسببها** الأنس والبشاشة»[5].

1-2- الوصف:

يعدّ الوصف من الآليات اللّغوية الفعّالة في وضع الحجج الواردة في الخطاب الحجاجي في درجة سليمة معينة، فاختلاف الوصف يؤدي إلى الاختلاف في قوة أو ضعف الحجة المستعملة في أيّ خطاب كان.

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص 299.

(2)البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص 298.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص 298.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 300.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 93.

1-2-1- الصفة: تعدّ الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه وذلك بإطلاق المخاطب لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب [1]، كما في قول الإبراهيمي: «وصف القرآن محمدًا بأنّه **رحمة**، كما وصفت الخنساء الظبية بأنّها **إقبال** و**إدبار**»[2].

وهذا وصف منسوب، فلم يصف لنا البشير الإبراهيمي محمدًا بل ذكر لنا ما وصفه به القرآن، وهو نوع قليل ونادر، على عكس الوصف المباشر، كما في قوله: «ننهاهم عن الكذب، ونكذب أمامهم الكذب **الحريت**»[3]، فصفة "الحريت" صفة للكذب القبيح الظاهر، وجاء بها ليصوّر لنا بشاعة الخطأ الذي يرتكبه المربُّون عامة، والأمثلة على الوصف كثيرة ظاهرة وسنكتفي بمثال آخر ورد في قوله: «... وهي مقدمة لانتخابات **متتابعة**، وحلقة من سلسلة **طويلة**»[4]، فكل من "متتالية" و"طويلة" هي صفة لما قبلها، ولا شك أنّ الوصف من أحسن الأساليب التي تساعد على كشف الغايات.

1-2-2- الوصف بالألقاب: أو "التخصيص": يشير "عبد الهادي بن ظافر الشهري" إلى «أنّ الألقاب من الصفات التي يمكن أن تجسد علامة على درجة الحجاج، وتعدّ ألقاب القرابة من هذه الصفات، بوصفها تنتمي إلى سلميّة ذات درجات، فيختار المرسل ما يرى أنّه يجسد درجة قرابته في الخطاب ليحاجج من خلالها، بالإضافة إلى دلالتها على التضامن والتآزر»[5].

وغايته أنْ يُوجه الكلام لمخصوص، كالإبن، أو القوم أو الشباب وغيرها، ومن أمثلة ذلك ما نجده في قوله: «طلائع الحديث في هذه الليلة إلى **الشباب** الذين هم الساق الجديد في بناء الأمّة... وأقول **الشباب**، ولست أعني بهذا اللّفظ معناه المصدري في عرف اللّغة...»[6].

---

(1) عبّاس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج4، ط4، ص 238.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 267.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص 268.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 301.

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 487.

(6) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،، ج4، ص 267.

وما يظهرأ يضًا من وصفٍ وتخصيص في قوله: «أيّها **الإخوان** المسلمون... أيّها **الإخوان** ... **أمّة محمد**...» [1].

إنّ هذا التوجيه للخطاب هو مقصود في ذاته لإثارة حميّة ما، ففي المثال الأول استنهاض لهمة الشباب، وفي الثاني تحفيز لغيرة المسلم على دينه، ورفع الأخوة الدّينية فوق كل أخوة بيولوجية، فيتجاوز بما يريده المحلي إلى كامل الأمّة المسلمة، عربًا، وعجمًا.

1-2-3- الوصف باسم الفاعل : يعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه، بوصفها حجة ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتُبنى عليه النتيجة التي يرومها [2]، ولذلك قِيل في تعريفه «أنّه اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث، وعلى فاعله»[3].

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قول البشير الإبراهيمي: «... وقام **غائبه** مقام العيان، وخلدته بطون التواريخ، واعترف به **الموافق** و**المخالف** ، ونهج به **الراضي** و**الساخط** ...»[4]. فهذه خمسة أسماء أفعال (غائب، وراض، وساخط، وموافق، ومخالف) والأربعة الأخيرة طباقات، واستخدام الوصف بهذه الطريقة فيه قوة لتأكيد الحكم، وقد يأتي بأسماء الأفعال متلاحقة وكأنّها مترادفة، كما في قوله: «... فخورًا بوظيفته منصرفًا إلى أدائها على أكمل وجه، **واقفًا** عند حدود غيره **عالمًا** أنّ غيره واقف عند تلك الحدود، فلا المرأة متبرمة... ولا العبد متذمرٌ...»[5].

1-2-4- الوصف باسم المفعول : ورد في تعريفه: «أنّه صفة مشبهة تدل على معنى حادث وعلى مفعوله»[6]، ومن الأمثلة التي وظفها البشير الإبراهيمي قوله: «من أخذ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب يعلم أيّ حِكَمٍ مبثوثة تحت كلّ كلمة وكلّ جملة...»[1].

---

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 93.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 488.

(3) عبّاس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 238.

(4) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 93.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 95.

(6) محمود أسعد النادري، نحو اللّغة العربية، ص 111.

كلمة "مبثوثة" صيغة اسم المفعول جاءت وصفًا للحِكم، وهذا الوصف يطلب فعل البحث لاستخراج الحكم والاستفادة منها.

وكذلك قوله: «وإنّ في صفوفكم دساسين **مدخولين** من الرجال لهم أغراض في المنافع...» [2]. وقوله قبل ذلك: «فإذا هي هزيلة **مضعوفة**»[3].

فكلّ من الكلمتين (مضعوفة، ومدخولين) تستدعي فعلاً يليق بما جاءت لأجله وهو ما يكسب الخطاب بُعدًا حجاجيًا، لاعتماد اسم المفعول بغاية إقناع المخاطب ليقوم بفعل ما.

كذلك قوله: «إنّ الجنّة **محفوفة** بالمكاره مسوقة بالصبر... النّار **ملفوفة** بالشهوات، **مسوقة** بالإغراء»[4]. وقوله أيضًا: «أنّ أغصانكم الغضة المورقة المطلوية أبنداء السماء...»[5].

والأمثلة في هذا الباب عديدة، حيث يكون اسم المفعول حاملاً لشحنة تدفع المتلقي إلى الاستجابة بفعل يتناسب مع ما يرغب المخاطب في الوصول إليه.

1-3- الأفعال اللّغوية:

1-3-1- الاستفهام: يعدّ الاستفهام من أنجح أنواع الأفعال اللّغوية حجاجيًا، فهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم، إذْ أنّ طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما يمكن أن يلطف لسؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم[6]. وأُبيّن مثال في هذا المقام هو في قول البشير الإبراهيمي: «... أن تشتت الشمل المجموع وتفرق الكتلة المتراصة الأجزاء فكيف بالشمل الممزّق والرأي المفرق؟»[7].

---

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 298.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 302.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص 302.

(4) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 267.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 270.

(6) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 486.

(7) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 301.

ويعني هنا دور الانتخابات في المجتمعات غير الناضجة، وهذا الدور هو تفريق المجتمع، فما بالك إذا كان الشّمل أصلاً مفرقًا، فهذا الأسلوب في التعليل بالاستفهام ووضع المتلقي أمام معظلة من أقوى أساليب الإقناع، وهذا السؤال متضمن لجواب، وهناك سؤال آخر بحيث يبقى للمتلقي حرية النظر، ويقع عادة في ختام الخطبة كما في قوله: «ليت شعري، أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمّتهم؟»[1].

والقصد هنا هو فتح المجال أمام المتلقي لتصور الإجابة، وغاية الخطيب أن يُحرّك المتلقي ليتفاعل بشكل جيّد مع الغايات التي يُريد الوصول إليها، دون أن يُوضّح له جوابًا لأنّ الجواب ظاهر أصلاً.

1-3-2- التعجب : لم يظهر التعجب في الخطب الأربعة المختارة إلاّ في واحدة، وقد تمثل في نداء قادة الأحزاب، ونداء الأمة الجزائرية، ونداء النواب بـ "أيها" وهو نداء بغرض التعجب، وللفت الانتباه لخطورة ما هم فيه، حيث يقول: «يا قادة الأحزاب!... أيتها الأمّة الجزائرية!... أيتها الأحزاب!... أيها النواب»[2].

ولابدّ أنّ أسلوب النّداء جاء لغرض تبيان قيمة الانتخابات ودور الوعي الذي تتشاركه الأمّة الجزائرية شعبًا، نوابًا، وقادة أحزاب، ومعنى التّعجب هنا خفي، حيث يريد من خلالها القول: أعجب لكم، إذ كيف تنامون على المصلحة العليا، وتتساهلون في الإتحاد وهو عصمتكم من التشرذم، وسبيلكم للنهوض بالأمّة من ربقة الاستعمار.

1-4- تحصيل الحاصل:

ويمثل هذا الضرب بعض التّنوعات الحجاجية، والصور الخطابية، التي تضطلع بوظيفة حجاجية في الخطاب، ومن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب ما يسمى بالتمثيل، ويتجسد من خلال تعدد التعاريف على الرغم من وحدة المعرّف[3]. ومن صور تحصيل الحاصل أيضًا ذكر ما يعد حشوًا من وجهة النظر الدلالية، لكنه وبمقتضى معيار الحجاج، والتداول يتبين أنّ لتوسيع الجملة [...] مبررات كافية؛ ذلك أنها تفتح اتجاهات

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 300.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 302-203.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ص 489-490.

خطابية حجاجية تتلاءم مع استئناف يزيد أو ينقص من عدد الأقسام لكن التقييد يقلص هذه الإمكانات الإتجاهية[1].

ويظهر تحصيل الحاصل في جم يع الخطب المختارة للبشير الإبراهيمي، والأمثلة على ذلك كثيرة نأخذ منها قوله: «... فهي كالأمراض المستعصية إن لم تقتل تركت ا**لضّعف** و**الارتخاء** و**الفتور والنحول**، ثم تبرز القوائم الناجحة فإذا هي **هزيلة مضعوفة**، مرقعة الأطراف، **خالية من الكفاءات** ، **خالية من روح النضال** ، **خالية من القيادة الصحيحة**...»[2].

فالحماسة للفكرة والتعجب لها هو ما يجعل الخطيب يعلّق على الشيء الواحد بأكثر من عبارة تتحدد فيما بينها كأنّها ترادفات، وهذا توكيد للنتيجة، وإن كانت النّتيجة الواحدة تستلزم بقية النتائج، فالضعف لابدّ أن يكون معه ارتخاء وفتور مثلاً، ولكن ورغم كفاية ذلك إلاّ أنّ الإبراهيمي ألحق بها أختيها تأكيدًا وتثبيتًا للفكرة في ذهن المتلقي.

وفي موضع آخر يقول: «وأن يعلموا أنّها ليست جنسية تميز، ولا نسبة تعرف، وأنها ليست جلدة تسمّر أو تحمّر، ولا بلدة تعمر وتقفر، وأنها ليست جزية يحبط بها البحر ولا قلادة تحيط بالنحر، وأنها ليست متاعًا مما يرثه الوارثون، ولا أرضًا مما يحرث الحارثون، وإنما هي **خلال** و**خصال** ، وهمم تتشقق عن فعال، وإنما هي **بناء مآثر**، و**تشييد أمجاد ومحامد**، وإنما هي مساع من الكرام إلى المكارم...»[3].

وهكذا يستمر الإبراهيمي في تعريف الشيء الواحد بأكثر من تعريف، وهذا أسلوب مفارق للّذي قبله لأنّه بدأ بالنّفي ثم انتقل إلى التأكيد وهنا الحجة أبلغ وأرسخ في ذهن المتلقي، وإن كانت الغاية دائمًا واحدة وهي التأكيد على ما يذهب إليه الإبراهيمي. ونكتفي بمثالين آخرين كما في قوله: «الزواج **عقد بين قلبين** ،

(1) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، ص 291.

(2) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 302.

(3) المصدر نفسه ، ج4، ص 268.

و**وصل بين نفسين** ، و**مزج بين روحين** ، وفي الأخير **تقريب بين جسمين** ...»[1]. أو في قوله: «و**لم نشهد منذ دحدها الله**... ول**م تشهد منذ دحدها الله**...»[2].

فالغاية إذن إقناع المتلقي والتأكيد على الفكرة فيأتي بتعاريف متتابعة لفكرة واحدة.

2- الآليات البلاغية:

تظهر أهمية الوسائل البلاغية «فيما توفره للقول في جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي، والتأثير فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بين أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب؛ أي حمل المتلقي على الإقتناع بفكرة ما، أو رأي معين، ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي يُريدها له»[3]. وتنقسم الآليات البلاغية إلى عدّة فروع:

2-1- تقسيم الكل إلى أجزاء:

وهو أن يذكر المتكلم حجتّه كليًا في أوّل الأمر ثم يعود إلى تقسيمها، وتعداد أجزائها، ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه[4]، نحو قول الإبراهيمي:

«... شرّعه الإسلام مقيدًا **بقيود حكيمة** ، و**قيود شرعية قويمة** ... كال**تمتيع** ومدّ الأمل بالمراجعة، و**توسيع العصمة** إلى الثلاث... وما وصفه القرآن بالسراح الجميل و**التسريح** بالإحسان...»[5].

فانظر كيف انتقل من العام إلى الخاص: شرعة الإسلام: قيود فطرية وقيود فطرية وقيود شرعية: ثم تمتيع وتوسيع وسراح وتسريح، فهذا الاحتجاج للشرعة الإسلامية والذي ركز من خلاله الإبراهيمي على تفصيل المفهوم غايته هي الوقوف عند مجمل الجزئيات لتقوية الحجّة، وهو ما نجده في قوله أيضًا:

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص 297.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص 94.

(3) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص 119-120.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، ص 494.

(5) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 297.

«والقرآن **هو الدستور السماوي** الذي لا نقص فيه ولا خلل: **فالعقائد** فيه صافية **والعبادات** خالصة، **والأحكام** عادلة، **والآداب** قويمة، **والأخلاق** مستقيمة، **والروح** لا يهضم لها فيه حق، **والجسم** لا يضيع له مطلبًا»[1].

وهنا أيضًا اهتّم الإبراهيمي بالقرآن وسمّاه دستورًا، ولكن هذا كلام عام لا يفهمه الكثير لذلك فقد تحدث بعد ذلك عن مضامين هذا الدستور وهي: عقائد، عبادات، أحكام، آداب، أخلاق، روح، وجسم، فالقرآن الدّستور الذي ينظّم كل هذه الأجزاء.

2-2- التشبيه:

يعرّف التشبيه على أنّه: «مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة»، وهو أنواع: تشبيه صريح، تشبيه ضمني، تشبيه بليغ.

وتبرز القيمة الحجاجية للتشبيه في تقريب المسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس كقول البشير الإبراهيمي: «... وتصيّر الأخ ينظر إلى أخيه وكأنّما ينظر إلى قاتله، فهي **كالأمراض المستعصية** إن لم تقتل تركت الضّعف والارتخاء والفتور...» [2]. فهو لو قال وتجعل الأخ كارهًا ومعاديًا لأخيه لما كان أبلغ من تشبيه تحوّل العلاقة من الأخوة إلى العدالة كأنّ في الأمر قاتلاً ومقتولاً، وهذا سبب قوي لجعل التشبيه محل التعبير المباشر.

وفي قوله: «... شاع بين الناس مبدأ فطري توارد عليه المحدثون... وهو أنّ الكبير قريب من الموت يغذّ إليه السير **مكرهًا كمختار وعجلان كمتريث**...»[3].

وفي هذه العبارة تشبيه طريف لم نستطع فهم ما أراده البشير الإبراهيمي تحديدًا من قوله (مكرهًا كمختار) فأي خيار وهو مكره، وكيف يجمع الضدّان في قوله عجلان كمتريث.

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 95.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 302.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص 269.

أمّا في قوله: «... فتجري ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة **، كأنها لازمة الحديث ، وكأنّ الكثير** منهم لم يتزوج إلاّ ليجعل الزوجة أداة يمين...»[1].

والتشبيه في هذه الجملة سواء الأول أو الثاني ابتعد بالحديث عن التقرير ليضع المتلقي أمام صورة تمثيلية تغذي خياله وتُحفّزه على التفاعل مع الخطيب، ليكون المحمول الدّلالي أبلغ في الوصول، وأقرب إلى الفهم، وأدعى للإستيعاب.

2-3- الاستعارة:

تصنّف الاستعارة ضمن الآليات البلاغية المهمة في عملية الإقناع، وقد عرّفها "السّكاكي" بقوله: «الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر: مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[2].

وتكمن حجاجية الاستعارة في كونها تمثل مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية نظرًا لما تحققه من نتائج إيحائية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبّر عنه "طه عبد الرحمن" عندما قال: «العلاقة الاستعارية هي أدّل ظروب المجاز على ماهية الحجاج»[3].

وقد وظّف البشير الإبراهيمي هذا النّوع من الأساليب البلاغة بكثرة في خطبه، كما في قوله: «... جملة... عليها مسحة من النبوة ولمحة من روحها، وومضة من إشراقها... وسجلته الأرض والسماء، **فلو نطقت الأرض لأخبرت** أنها لم تشهد...»[4].

إنّ الحجة هنا أبلغ إذ جعلت الأرض كائنًا حيًا أو كأنها هو، فتسجل وتنطق، فهذا الجماد تفاعل فكيف لا يتفاعل الإنسان، والقوة في الاستعارة تكمن في نقل الفكر من عالم اللغة المباشر إلى عالم الت خييل، وهو ما نجده أيضًا في قول الإبراهيمي: «القرآن... **داوى بالوحدة ما جرحته الفرقة واجترحته العصيبة**»[1].

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص 299.

(2) أبو يعقوب يوسف بن محمود بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تحققه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 477.

(3) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص 312.

(4) البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 93.

إنّه هنا يتحدث عن القرآن، وكأنه يتحدث عن عاقل، ويتحدث عن الفرقة كأنها العدو الذي يجرح، ويحدّثنا عن العصبية وينسب لها الجارحة، فقد أصبغ صفات الإنسان على غيره فيجعل منه في درجة الإنسان.

وقوله أيضًا: «فإذا ..... في حضن أمه... وشقى أبوه **بما تغرسه أمه في نفسه** من بغض له وحقد عليه»[2].

وهنا حالة عكسية، حيث يجعل نفس الإنسان كأنها الأرض التي تنبت الحسك والشوك، فالاستعارة كالتشبيه تنقل المتلقي من عالم إلى آخر مغاير، وهو أيضًا ما نلحظه على الكناية فيما يلي:

2-4- الكناية:

وهي لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي [3]، ويُعرّفها "السّكاكي": «بأنها ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينقل من المذكور إلى المتروك»[4].

ويتجلى البعد الحجاجي للكناية في كونها «ألطف أساليب البلاغة وأدّقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللاّزم فهو كالدعوة ببيّنة... كيف لا وأنّها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احترامًا للمُخاطب أو لإيهام السامعين أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلاً عليه أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية»[5].

ومن بين الكتابات التي وردت في الخطب المختارة للدّراسة قول الخطيب: «... فأنتم مُقبلون من عنده، فرحين بالحياة مستبشرين، **فصلوا حبلكم بحبله**، واحفظوا عهده...»[6].

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 94.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 300.

(3) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 287.

(4) السّكاكي، مفتاح العلوم، ص 512.

(5) ينظر: السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص 290.

(6) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 270.

صلة الحبل كناية عن التقرب من الله، وهذا تحويل من المعنوي إلى المادي، لأنّ العلاقة الروحية بين العبد وربّه خفية، وغير مادية، أراد أنْ يكني عنها بشيء مادي، فيكون فهمها في الذهن أقرب منه لو استعمل كلامًا مباشرًا.

2-5- علم البديع:

يعتبر البديع من الأشكال اللّغوية التي تظهر وظيفتها في تحسين اللّفظ والاهتمام بجمالية الكلام من حيث معناه.

غير أنّ النظرة المعاصرة للبديع اختلفت، فاستعمال المتكلم أشكالاً لغوية تنتمي إلى المستوى البديعي ويتوقف دورها على الوظيفة الشكلية رأي غير كامل، فعلم البديع يهتم بجمالية الكلام من حيث معناه ومن حيث لفظه، غير أنّ دوره لا يقف عند هذه الوظيفة الشكلية، بل إنّ له «دورًا حجاجيًا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد»[1].

2-5-1- التكرار:

أشاد المفسرين في إبراز الدّور الحجاجي للتّكرار وفي تعاملهم معه حيث أنهم: «لم يكتفوا بتتبّعه كوسيلة يربط بها أجزاء الخطاب بعضها ببعض بل اعتنوا إضافة إلى ذلك بدلالته»[2]، وهذا ما كادت تجمع عليه الدّراسات الدائرة حول الدّور الذي يضطلع به أسلوب التكرار إذ «يعدّ رافدًا أساسيًا يرفد الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة أو دعوى معينة، بمعني أنّ التكرار يُوفر طاقة مضافة تحدث أثرًا جليلاً في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان»[3]، وهناك نوعين من التكرار:

- التكرار في اللفظ والمعنى.

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 498.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، 1991م، ص 177.

(3) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 168.

- التكرار في المعنى دون اللّفظ.

ويتجلى التكرار في الخطب المختارة في قول الإبراهيمي: «... نقل اللّغة من **طور** إلى **طور** هو استسلام الجوارح -وسلطانها القلب- لله ولعظمته وقدرته، وعلمه، حتى **توحده وحده** ، وتعبده **وحده** ، وتدعوه في النائبات **وحده**، وتنيب إليه **وحده**، وتذعن إلى سلطانه **وحده**...»[1].

إنّ تكرار كلمة (وحده) توكيد على وحدانية الله وهو بقدر مال يحمل دلالة التوكيد، فإنّه له فائدة في التأثير على المتلقي وهذا ما يتضح من خلال التوكيد في المثال التالي:

«... دينكم - **أيها الشباب** - لا يفتننكم عنه ..... بإلحاد ولا ناعٍ بتنقص... وربّكم - **أيها الشباب**- لا يقطعنكم عنه خنّاس من الجنة والناس، وكتاب ربّكم -**أيها الشباب**- هو البرهان والنور...»[2].

فتكراره لكلمة (أيها الشباب) هو أيضًا في غاية الأهمية إذ تكون جملة النداء هذه واسطة يصل بها الخطيب إلى الفئة المستهدفة دون غيرها وهي فئة الشباب، وهناك غاية أخرى من وراء التكرار وهي غاية جمالية، وذلك في قول الإبراهيمي: «... ولم تشهد منذ دحدها الله مجموعة اتحدت سرائرها... ولم تشهد منذ **دحدها الله** قومًا بدأوا في إقامة قانون العدل...»[3].

إنّ إتيانه بعبارة (دحدها الله) والتّركيز عليها مرات يجعلنا نتساءل عن قيمة تكرار العبارة، والملاحظ أنّه استخدم كلمة غريبة على ألسنة الأدباء وركّز عليها بتكرارها، وهذا في ظننا لغاية جمالية، أمّا المثال التالي والذي يقول فيه:

«يا قادة الأحزاب! إنّكم مسؤولون **أمام** الله و**أمام** التاريخ و**أمام** الوطن و**أمام** الأمة، فاعرفوا قيمة هذه المسؤولية الثقيلة...»[4].

---

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4 ، ص 269.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 270.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص 94.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 303.

فإنّ كلمة أمام فصلت بين أربعة مفاهيم لغاية الإغراق في التوكيد والتركيز على قيمة المسؤولية وثقلها أمام الله وأمام التاريخ وغيرها، فلو قال مثلاً أمام الله والتاريخ والوطن والأمة، لخفي المعنى ربما على المتلقي، ولكنه من خلال التكرار يثبت المعنى أكثر ويعمق الدّلالة، ويجمّل العبارة.

2-5-2- الطباق:

يعرّف الطباق على أنّه: «الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام» [1]. وتكمن وظيفته الحجاجية في توضيح المعنى بحيث «يحسّن، ينمق وقوع المعنى في ذهن القارئ موقعًا يجعله يقتنع ويحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنيين متقابلين، وهذا يبيّن موضع الطباق في الحجاج وقيمته الإقناعية»[2].

وقد زخرت الخطب المختارة للدّراسة للبشير الإبراهيمي بالطّباق الذي أظفى رونقًا على الكلام، ونذكر منها قوله:

«وقام غائبه مقام العيان، وخلّدته بطون التاريخ، واعترف به **الموافق** و**المخالف**، ولهج به **الراضي** و**الساخط**، وسجّلته **الأرض** و**السّماء**...»[3].

وقوله أيضًا: «... إنّ ضعف **الضّعيف** لا يكون في سنة الله إلاّ زيادة في قوة **القوي**... إنْ لم يكن لكم بعض ما لديهم من القوة **المادية**، فعندكم من القوة **المعنوية** ما لو أحسنتم تصريفه واستغلاله لغلب **ضعفكم** **قوتهم**»[4].

---

(1) السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 303.

(2) عبّاس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، ص 214.

(3) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 93.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 301.

المعروف أنّ الأشياء تتضح بمعرفة أضدادها، والطّباق هو وضع الشيء إزاء ضده، إمّا غاية توضيحه أو لغاية جمالية، والأمثلة السابقة التي جاءت طباق إيجاب تحوي إلى جانب البعد الجمالي للّغة جانبًا دلاليًا تداوليًا غرضه التوكيد من جهة، والتأثير في المتلقي من جهة أخرى، بحيث تضعه أمام مفارقات تجتمع فيها المتضادات، وهناك نوع آخر من الطباق يجمع المتناقضات وهو ما يسمى بطباق السلب، والأمثلة كثيرة، وسنكتفي بما جاء في قوله: «هو الذي **صلح** عليه أول هذه الأمة، وهو الذي **لا يصلح** آخرها...»[1].

وتكمن حجاجية هذا النمط في توضيح المعنى أكثر من خلال وضع المتلقي أمام مفارقة.

2-5-3- السجع:

وهو توافق الفاصلتين في الحروف الأخيرة، وموطنه النثر، وقد يجيء في الشعر [2]، كقول الخطيب: «والزواج عقد بين **قلبين**، ووصل بين **نفسين**، ومزج بين **زوجين**...»[3].

وما جاء هنا هو من أبسط أنواع السجع، ويأتي بطريقة عفوية، حيث يأتي بالمثنى أو الجمع، كما في المثال التالي: «... اتحدوا هناك على إحباط **برامجكم فنجحوا**، وعلى تخييب **مطالبكم فأفلحوا**»[4].

فلأنّه يحدّث جماعة فلابدّ أن تتحدد الفواصل (برامجكم، مطالبكم)، وهناك سجع يقصد إليه الخطيب قصدًا حين يبحث عن الكلمات ليضعها في سياق واحد، كما في قوله:

«...بعض السبب في اغترار الشبان وانهماكهم في **الشهوات** واسترسالهم مع **النزوات**...»[5].

وهنا ضرب يسعى إليه الخطيب متخيرًا الألفاظ للتلاءم وتتجانس تأكيدًا على معنى أراده، وأبلغ من ذلك ما يجيء على النحو الذي في المثال التالي في قول البشير الإبراهيمي:

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 95.

(2) السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 330-331.

(3) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص 297.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 301.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 270.

«إنّ دينكم شوهته **الأضاليل**، وإنّ سيرة نبيكم غمرتها **الأباطيل**، وإنّ كتابكم ضيعته **التآويل**...»[1].

حيث يكون تخيّر الألفاظ المتجانسة الخواتم ظاهرًا للعيان، ومقصودًا إليه والغاية دائمًا واحدة، وهي التأثير في المتلقي، والتأكيد على معنى يُريد إيصاله الخطيب، فحجّ بهِ السجع تكمن في محاولة سحر المتلقي من خلال التوافق اللفظي الذي يخلق جرسًا موسيقيًا يجعله يعجب بالكلام، ويركز معه فيتأثر به، وأتم من هذا السجع الجناس، الذي يتوافق فيه الكلمات فلا تختلف إلاّ بحرف واحد في الغالب، وهو ما نجده في العنصر الموالي.

2-5-4- الجناس:

وهو ما «يتشابه به اللّفظان في النّطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان: تام وهو ما اتفق فيه اللّفظان في أمور أربعة، نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، غير تام وهو ما اختلف فيه اللّفظان في واحد من الأمور الأربعة المقدمة»[2].

وتكمن حجاجية الجناس في كونه يضع المتلقي أمام لفظة مكرّرة، لكن كل لفظة تحمل معنى، تكسبه لذّة وإيقاعًا، وهذا ما ينتج عنه نغمًا موسيقيًا، ومن الأمثلة الواردة عن الجناس قول الإبراهيمي: «... وأنّها ليست جزيرة يحبط بها **البحر** ولا قلادة تحيط **بالنحر**...»[3].

هنا يتحدث الإبراهيمي عن العروبة، دافعًا الشباب إلى أن يكون ارتباطهم بها دافعًا إلى العمل والسعي نافيًا أنْ تكون تشريفًا بذاتها، فأتى بعبارة جانس فيها الكلام ليكون أبلغ وأقرب إلى نفس المتلقي.

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 271.

(2) علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص 277.

(3) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 268.

وفي قوله: «... لا يقطعنكم عنّه **خنّاس** من الجنة **والناس**»[1]. وهنا معنى مأخوذ من آخر سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الناس، والجناس دائمًا هو لغاية جمالية تأثيرية، وأمّا أن يُضاف إليه تضمين ما ورد في القرآن فإنّ الحجة تصير أقوى وأبلغ.

وقوله أيضًا: «إنّ تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة **العَدد** و**العُدد** ولكن بقوة الرّوح...»[2].

والمثال الأخير، هو من نوع الجناس الناقص، حيث تتوافق الكلمات في عدد الحروف ونوعها ورسمها و تختلف في شكلها ومعناها، وتكمن حجية الجناس عمومًا في حرسه الموسيقي الذي يؤثر في المتلقي سماعًا ثم استيعابًا وفهمًا.

2-5-5- المقابلة:

وهي: «أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب»[3].

والمقابلة الحجاجية هي التي يقتضيها المعنى ولا ترد متكلفة، وبما أنّ المقابلة تعتمد على إيراد المعاني ثم الإتيان بما يقابلها، فذلك يُسهم حتمًا في توضيح المعنى، والتوضيح من التقابل يُساعد على تمييز الأشياء، ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة[4].

وفي المقابلة تحدد النتيجة وتظهر الحجج مع بيان المقدمات وتظهر نتيجة أخرى في مقابل النتيجة الأولى، وحجة ضدّ الحجة الأولى، وقد تكون المقدمة واحدة[5].

---

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 270.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص 271.

(3) علي الجازم ومصطفى أمين، مرجع سابق، ص 281.

(4) عبّاس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 299.

(5) المرجع نفسه، ص 299.

ومن الأمثلة الواردة في الخطب المختارة قول الإبراهيمي: « **يحافظ عليها الأحرار ، ويتلاعب بها الفجّار**»[1].

إنّ هذا هو أسلوب تنفير، حيث يأتي الخطيب بالمعنى وضدّه فيحفز المتلقي على حبّ شيء وينبذ نقيضه، فكل الناس يريد أن يكون من الأحرار، وكلهم يكره الفجّار.

وقوله: «إنّ **ضعف الضّعيف** لا يكون –في سنة الله– إلاّ زيادة في **قوة القوي**»[2].

وقوله أيضًا: «هو الذي **صلح عليه أول هذه الأمّة** وهو الذي **لا يصلح آخرها إلا عليه**»[3].

والشاهد هنا أنّ المقابلة كالطباق في القيمة الحجاجية والدّلالية، إذْ يأتي الخطيب بضدّ الشيء تأكيدًا على أصالة أحدهما، فينجذب للشيء وينفر من ضده، فيكون الإقناع، ولو كان الكلام مباشرًا فلربما رآه السامع كغيره من الكلام فمل الاستماع إليه.

2-5-6- الاقتباس:

والمقصود بالاقتباس أن «تضمن كلامك شيئًا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنّه منها»[4].

ومن الاقتباسات التي وردت، قول البشير الإبراهيمي: «... هو المعنى الذي خالطت بشاشته **قلب نبي التوحيد إبراهيم فقال: أسلمتُ وجهي**، وتذوقته **بلقيس حين هداها الله، فقالت: وأسلمت**»[5].

وربما كان الاقتباس من القرآن والسنة لدى المسلمين من أقوى أنواع الاحتجاج لديهم، إذْ لا يمكن تصوّر حجة أقوى من كلام الخالق، وهنا في هذا المثال تحديدًا لم يأت الخطيب بالآية مباشرة وإنما ضمّن معناها

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 299.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 301.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص 95.

(4) السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 338.

(5) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4 ، ص 269.

بطريقة غير مباشرة، إلاّ أنّها لا تخفى على دارس القرآن وقارئه، والمعنى الأول من سورة آل عمران، الآية 20 وهو متعلق بإبراهيم، والثاني من سورة النمل الآية 44 متعلق بملكة سبأ.

وورد أيضًا في قوله: «وربّكم أيها ال شباب لا يقطعنكم عنه **خنّاس من الجنّة والناس**»[1].

وهنا معنى مقتبس من سورة الناس، وهي آخر سورة في ترتيب المصاحف، فالبشير الإبراهيمي ينه ى كما نهى القرآن عنه بالعبارة ذاتها تقريبًا، فأين تجد أبلغ من هذا الكلام عدا كلام الله عزّ وجل، وبهذا تكون الحجة أبلغ من أي حجة، والمعنى أقوى والعبارة أقرب إلى الأذهان، لأنّ سامعها تتمثل عنده الآيات الكريمات في سورة الناس، فلم يعد له من شيء، وهو ملزم إلاّ أن يتقنع بما يقوله الخطيب.

وكذلك قوله: «... وإنّكم **لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول**.. .»[2]. ﴿فلتعرفنّهم بسيماهم، وتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم أعمالكم﴾ سورة محمد [30].

أمّا عن الاقتباس من الحديث الشريف، فمجد قوله: «... **ويسارع إليه بالقول ويبطئ عنه بالعمل...**»[3].

وهذا من حديث "من أبطأعمله لم يسرعبه نسبه"

وقوله: «وسوى بين الناس في العدل والإحسان فلا فضل لعربي –إلاّ بالتقوى– على عجمي»[4].

7.5.2.التضمين:

وهو أن يضمّن الشاعر كلامه شعرا من شعر غيره مع التنبيه عنه[5]، وهو أيضا تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كما هي، ويختلف عن الاقتباس في كون هذا الأخير أخذ معنى فقط، على خلاف التضمين الذي يأتي بالنص كما هو في الأصل، وهو كثير في الخطب الدينية خاصة، فلا تكاد تخلو واحدة من

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 270.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 302.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص 303.

(4) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 94.

(5) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 340.

آية أو حديث، آو شيء من كلام الأولين شعرا كان أم نثرا. وقد جاء هذا كثيرا في خطب البشير، وسنكتفي ببعض الأمثلة على ذلك.

فمن الأمثلة على تضمين القرآن، نجد إيراده لقوله تعالى:

" **الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان...**" البقرة، آية 229.

وقوله:

" **...ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره...**"

وهي شواهد في خطبة له عن الطلاق، حيث لا يجد المسلم في هذا السياق أفضل من الاستشهاد بما جاء به النبي الخاتم في رسالته التي تراعي الحقوق وتحفظ كرامة الزّوج والزّوجة على حد سواء.

أما عن الأحاديث، فقد أورد حديث السبعة الذين يظلهم الله متصرفا بعض الشيء فيه، حيث قال:

" عدّ صلى الله عليه وسلم الشباب الذي ينشأ في طاعة الله أحد السبعة الذين **يظللهم** الله بظله يوم لا ظل إلا ظله..."[1].

وجب الإشارة أن الحديث متفق عليه، وهو عند المسلم في كتاب الزكاة (باب الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء حديث رقم 1031)[2]، وفي البخاري في كتاب الآذان (باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد حديث رقم 396) [3]، وقد رود بلفظ **يظلّه** بلام واحدة في الصحيحين على عكس ما ورد في خطبة البشير (يظلّله)، ونظن أن خطأ مطبعيا وقع في تخريج آثار البشير.

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 270.

(2) أبي الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، ط 1، 2010، ص 274.

(3) زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2007، ص 98.

فهل هناك حجة لدى المسلمين أو دليل أقوى من وجود نص صريح، أم هل وجد شيء أصح مما بلغنا صحيحا عن رسوله الكريم.

لا شك أن هذا أبلغ دليل على صحة ما يذهب إليه الخطيب عند المسلمين قاطبة، إذا استثنينا بعضا مما يردون الآثار بالعقل لما يرونه من اختلاف بينها وبينه.

أما عن الشعر فنأخذ لذلك مثالا مما جاء به الإمام البشير من قول أمير الشعراء أحمد شوقي:

1/إن أسأنا لكم أو لم نسئ * نحن هلكى فلكم طول البقاءْ

2/هل يمد الله لي العيش، عسى * أن أراكم في الفريق السعداءْ

وجب التنويه أن إيراد البيتين جاء منفصلا، والبيت الأول يأتي في القصيدة تاليا عن البيت الذي يليه، وقد أوردناهما بالترتيب الذي أوردهما به البشير لا بالترتيب الذي في القصيدة، وهما من قصيدة (آية العصر في سماء مصر) من بحر الرمل، قالها شوقي بمناسبة رحلة جوية من باريس إلى مصر عام 1914م مطلعها:

يا فرنسا، نلت أسباب السماءْ * وتملّكت مقاليد الجِواءْ [1]

والاستشهاد بالشّعر في الخطب من عادات الخطباء، لما في الشّعر من قوة خطابية، تتمثل في تقديم الفكرة في شطرين تامين دون الحاجة إلى الإطناب، إضافة إلى الجرس الموسيقي الذي يؤثر في المتلقي، فالحجّة في الشعر تعتمد على الصوت كما تعتمد على الفكرة.

(1) ديوان أحمد شوقي، تقديم: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2008، ص 219.

8.5.2.التلميح:

وهو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير ذكره [1]، ويظهر هذا الأسلوب البلاغي من خلال قول الإبراهيمي:

" كما وصف القرآن محمدا بأنه رحمة، وكما وصفت الخنساء الظبية بأنها إقبال وإدبار..."[2].

فالتلميح إذن، هو تضمين غير مباشر، حيث يشير الخطيب فقط، دون أن تكون إشارته بعيدة ويفترض أن يكون السامع عالما بالمشار إليه، فمن من المسلمين لا يعرف بأن محمدا موصوف بالرحمة، ومن من الشّباب الدارسين للشعر القديم لا يعرف الخنساء وشعرها، وحى ولو علم شيئا عاما عنها فإنه يصدق الخطيب فيما يذهب إليه.

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 342.

(2) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 267.

الفصل الثالث

الآليات شبه المنطقية
في خطب البشير الإبراهيمي

في هذا الفصل سنعمد إلى دراسة الآليات شبه المنطقية في خطب الإبراهيمي، وذلك لما تحمله من قيم دلالية وإقناعية، ولما تضيفه للخطب من قوة لغوية.

1-الآليات شبه المنطقية:

1-1- السلم الحجاجي:

يعرّف السلّم الحجاجي على أنه:" مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

1- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

2- كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1].

وللسلّم الحجاجي قوانين أجملها طه عبد الرحمان في ثلاثة نلخصها كما يلي[2]:

أ- قانون القلب: ومعناه، أنه إذا كان أحد القولين أقوى من القول الآخر في التدليل على مدلول ما، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.

ب- قانون النفي: ويعني، إذا كان القول دليلا على مدلول ما، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

ج- قانون الخفض: ومقتضاه، إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

(1) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

(2) المرجع نفسه، ص 277-278.

2- الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي:

2-1- الروابط الحجاجية:

هي عناصر لغوية فعّالة في الحجاج، وتسهم إسهاما كبيرا في انسجام الخطاب وتماسكه، إذ أنه" هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"[1].

فكل خطاب يحمل هذا النّوع من الروابط التي تجمع بين القضايا، إلا ونتج عنه سلم حجاجي يعمل على ترتيب هذه القضايا حسب قوتها الحجاجية، ومن بين هذه الروابط: لكن، وبل، وحتى، والواو، ولأنّ.

أ – لكن:

وهو حرف استدراك، أي إثبات حكم للمحكوم عليه بعدها، يخالف الحكم الذي للمحكوم قبلها، ولذلك يجب أن تسبق بكلام ملفوظ أو مقدر، ويجب في هذا الكلام أن يكون نقيضا لما بعده أو ضدا له[2].

وتكمن حجاجية "لكن" في أنها " تستعمل كمؤشر حال للاحتياط والتحفظ من النتيجة، فيكون – غالبا- ما بعدها من احتياط وتحفظ مؤديا إلى نتيجة مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة في بنية الحجاج"[3].

وقد ورد هذا الحرف في خطب البشير للغاية المذكورة في قوله: « ... وهو حق في أصل الشريعة، و **لكن** الإسلام لا يعطي هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلا للمسلم الصحيح الإسلام»[4].

إن الغاية من الاستدراك هنا هي التحديد، وذلك لكي لا يلتبس الأمر على المتلقين فالإسلام يعطي العصمة للمسلم صحيح الإسلام، وليس أي مسلم، وهنا عاب البشير على الفقهاء تقصيرهم في فهم مقاصد

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص 508.

(2) محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 397-398.

(3) حمدي منصور جودي، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي، دراسة لنماذج نصية مختارة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008/2007، ص 148.

(4) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 299.

الشريعة، فأعطوا العصمة لكل مسلم، والحق عند الإبراهيمي أن لا تعطى إلا لصحيح الإسلام. وهنا تحفظ على حكم، وتصحيح لوضع، واستدراك للأمر.

أما في قوله:

« ... إنها لكبيرة أن ينشأ الشاب على الخير والاتصال بالله من الصغر، و **لكن** جزاءها عند الله أكبر...»[1].

إن الاستدراك هنا، ليس لتصحيح وضع، بل للاستغراق والتوكيد، وجيء بلكن لجذب المتلقي ومفاجأته، وهنا مثال مغاير للأول، حيث لا تؤدي "لكن" وظيفة التصحيح، بل هي لتأكيد الوضع الأول.

أما في قوله:

« ونقترف في حقهم ولا نعترف بظلمنا إياهم، ونرخي في تربيتهم أو نشدد، و **لكننا** لا نقارب ولا نسدد.و نعطيهم من أفعالنا ما نمنعهم منه بأقوالنا»[2].

ففي هذا القول إتيان بقول أقوى من الأول، فالسلوك الأول صحيح، ولكن ينقصه أن يدعمه المربي بالفعل الذي يطابق القول، وإلا كانت التربية ناقصة. وهنا معنى جديد للكن.

أما في قوله:

« ... إلا أنه في الإسلام الشرعي نوعا من معنى الإسلام اللغوي، **لكنه** أرفع تلك المعاني وأعلاها...»[3].

وهنا استدراك لا يقلب المعنى، بل يخصص ويدقق، فينطلق من العام إلى الخاص، فالإسلام الشرعي أرفع من معناه اللغوي، لأن الشرع مرتبط بوحي، واللغة مرتبطة بمعاني يضعها الإنسان والوحي الرّباني أقوى بلا شك من الفهم الإنساني، إلا إذا تعلق الأمر بإلهام الفهم، وهنا يتحول الفهم إلى نوع خاص من الوحي.

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق،ج 4، ص 270.

(2) المصدر نفسه،ج4، ص 267-268.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص 269.

فالاستدراك يكون على أشكال عديدة، ويمكن لـ "لكن" أن تؤدي عدة أدوار على اختلاف السياقات، كما رأينا من خلال الأمثلة السابقة، وتكمن حجّيتها في كونها تفاجئ المتلقي بمعنى جديد يخالف أو يزيد على المعنى الذي كان قبلها.

ب/ حتى:

وهي من أدوات السلم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما تدل عليه استعمالاتها المختلفة من تدرج في توجيه الحجج، وأولى استعمالاتها ما يعرف بـ (حتى الجارة)، وتعني انتهاء الغاية ولا تجر إلا ما هو قبله، أو ملاق للآخر[1].

وعلى المرسل التحقق من مجرورها في التركيب، وهي:

1/ أن يكون المجرور ظاهرا في الغالب.

2/ أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء، وأن يكون المجرور بها داخل فيما قبلها -على الغالب- وأن يكون الانتهاء به أو عنده[2].

وثاني استعمالاتها ما يعرف بـ (حتى العاطفة)، ولها شرطان:

1/ أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه.

2/ أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم والنقص يشمل الضعف والتحقير[3].

ويبرز هذا الربط في قول الإبراهيمي:

« وشرّع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومد الأمل بالمراجعة، وتوسيع العصمة إلى الثلاث، **حتى** تمكن الفيئة إلى العشرة...»[4].

(1) محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 534.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 512.

(3) محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 603-604.

(4) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 297.

وفي هذا المثال تلعب حتى دور العطف، فتعطف غاية ما قبلها عليه، والمعنى أن تشريع المخففات هو لغاية تمكن الفيئة إلى العشرة. فالطلاق لا يتم إلا في وجود أمل بالمراجعة، فإذا حصل وانتهى كان سراحا جميلا وتسريحا بإحسان.

فالغاية أن يكون الرابط بين الزوجين حبلا غليظا لا يفك إلا لحكمة أقوى من حكمة المواصلة.

والمحاججة هنا هي لتبيان رحمة الإسلام التي تحافظ على الحرية الفردية دون محاولة المساس بتماسك الأسرة، وتلعب "حتى" في هذا السياق دورا حجاجيا هاما.

ونجدها كذلك في قوله:

« ... الذين طووا المراحل ودنوا من الساحل **حتى** أوهموا الشبان أن الشباب عصمة لهم من الموت...»[1].

وهي، كما في المثال الأول، تعطف على ما قبلها غايته ونتيجته، فالاعتزاز بالشباب سبيل قد يؤدي إلى الانحراف عن الطريق، حتى يظن الشباب أن الموت بعيد عنهم قريب من الشيوخ، فيقبلون على المعاصي من غير خوف ولا وجل.

والعمل نفسه تقدمه حتى في قول البشير:

« وأنا أرى الشباب أحق الناس بذلك الوعظ وبالتوجيه إلى الله وبالتعهد المنظم، والحراسة اليقظة، **حتى** تكون أقوى الملكات التي تتربى فيهم ملكة الخوف من الله...»[2].

فلا تكون ملحة الخوف من الله أقوى في قلوب الشباب إلا بعد أن يتم توجيههم وإرشادهم بحرص.

وكذلك في قوله:

«... الانتخابات في نظر الأمم الحية كميدان المصارعة الرياضية، لا ينتهي المتصارعان **حتى** يتصافحا على الوفاء للفن...»[1].

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 4، ص 269.

(2) المصدر نفسه، ج 4، ص 270.

لا تكون انتخابات لدى الأمم المتطورة إلا ويكون الطرف المهزوم فيها راضيا بالنتيجة متقبلا للآخر بروح رياضية، وهذه هي قيم المحبة والتسامح التي دافع عنها البشير الإبراهيمي في مشروعه الحضاري الرّامي إلى النهضة بالشباب ومن ثم النهضة الوطنية.

ج/ بل:

وهو حرف إضراب، وله حالان: الأول أن تقع بعده جملة، والثاني أن يقع بعده مفرد، فإن وقعت بعده جملة كان إضرابا عما قبله، إما على جهة الإبطال، وإما على جهة الترك للانتقال من غير إبطال، وإذا وقع بعد "بل" مفرد، فهي حرف، ومعناها الإضراب، ولكن حالها فيه مختلف؛ فإن كانت بعد نفي فهي لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعدها(2).

وتتجلى حجاجيتها في أنها "تساعد في ترتيب الحجج في السلم، ومن مميزاتها تعاكس حجيتها، فمنها المنفية ومنها المثبتة... كما تملك ميزة الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى"(3).

ومن الأمثلة على ذلك في خطب الإبراهيمي، ما ورد في قوله:

«القرآن إصلاح شامل لنقائص لنقائص البشرية الموروثة، **بل** اجتثاث لتلك النقائص من أصولها...»(4).

إن الاستدراك باستخدام "بل" مثير لانتباه المتلقي ومؤثر فيه، لأنه يربط بين حجتين تكون الثانية أقوى من الأولى، فينسخ حكما بآخر أقوى منه، وكذلك نجدها في قوله:

« هذه شهادة الأرض تؤديها صامتة فيكون صمتها أبلغ في الدلالة... ويفسرها العيان الذي تحجبه بضعة عشرة قرنا، **بل** إن هذه الأمة استقامت في مراحلها الأولى على هدي القرآن...»(1).

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 302.

(2) محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص 612.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 512.

(4) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 95.

إلا أنه في هذا المثال لا تكون "بل" بالقوة ذاتها التي في المثال السابق، لأن دورها هنا أشبه بتوكيد ما قبلها لولا أن ما بعدها أقوى حجة من الكلام قبلها وأصح، فيأتي هذا الحرف بكلام يصحح به مسار الكلام الأول دون أن ينفيه أو أن يناقضه.

ونجده في موضع آخر:

«... وإنكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول، فأخرجوهم من الصفوف... وإن إخراجهم لا ينقص عددا ولا يقطع مددا، **بل** يقطع دابر الفساد من صفوفكم...»(2).

نلفت النظر فقط، إلى أن هذه الفقرة أخذت بعض معناها من قوله تعالى: ﴿ **ولو نشاء لأريناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بسيماهم ولَتَعْرِفَنَّهُم في لحن القول والله يعلم أعمالكم**﴾ [محمد آية 30].

ولو لاحظنا الأمثلة السابقة جيدا لأدركنا القيمة الحجاجية لـ "بل"، إذ أنها تأتي بحجج بعدها أقوى وأشمل من الحجج التي سبقتها، بل تبين أيضا ضعف ما قبلها مقارنة بما بعدها.

وفي المثال الأخير تمثلت الحجة الأولى في أن خيانة البعض لا تنقص في المؤمنين عددا إن هم أخرجوا المنافقين من صفوفهم، لأن في إخراجهم إصلاح وقطع للفساد.

د/ الواو:

يعد الواو من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج وحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة.

ويستعمل الواو حجاجيا، وذلك بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي(3).

والأمثلة في الخطب المختارة للدراسة عديدة، نذكر منها بعض الأمثلة، ومنها قول الإبراهيمي:

---

(1) المصدر نفسه، ج 4، ص 94.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 302.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 472.

« القرآن هو الذي أصلح النفوس... وحرر العقول من ربقة التقاليد السخيفة، وفتح أمامها ميادين التأمل والتعقل... والقرآن هو الذي أصلح بالتوحيد ما أفسدته الوثنية...»[1].

فالرّابط الحجاجي هنا، وهو الواو، قام بالربط بين الحجة والأخرى، كما قام بترتيب هذه الحجج، لتقوية وتدعيم النتيجة، فالحجج جاءت منسقة مترابطة، كل حجة تساند وتقوي الحجة التي تليها. والمعنى هنا أن القرآن الكريم هو الذي حرّر العقول من الخرافات ففتح المجال للتّدبر في ملكوت الله، كما أنه هو الذي أصلح ما أفسدته الوثنية. وقد جاءت هذه الحجج متتالية يساند بعضها بعضا من أجل تقرير نتيجة مفادها أن الإسلام هو دين العدل والمساواة والتفاضل فيه يكون فقط بالأعمال الصالحة التي تنفع الإنسانية.

أما في قوله:

«... وتذوقته بلقيس حين هداها الله فقالت: أسلمت، ألا وإن في الإسلام نوعا من المعاني لم يتخيله وضع ولا عرف، ولم يتداوله نقل ولا استعمال حتى جاء محمد بالهدى ودين الحق...»[2].

هنا أيضا نلاحظ أن الحجج جاءت مترابطة بفضل الرّابط الحجاجي المتمثل في "الواو"، وقد أراد الإبراهيمي أن يقول، أن في الاستسلام لله نوعا من المعاني لم يعرفها الإنسان من قبل، كما لم تداول نقلا ولا استعمالا بين بني البشر حتى جاء بها الرّسول صلى الله عليه وسلم.

وهي حجج من أجل الوصول إلى نتيجة واحدة وهي أنه بمجيء النبي محمدا صلى الله عليه وسلم تحققت سعادة الإنسان وتذوق حلاوة الإيمان، أما في قوله:

«... تصحبها دعايات يلعن بعضها بعضا، ولا تنتهي حتى تقطع ما بقي من أواصر هذه الأمة الضعيفة، وتأتي على ما بقي من وشائج القربى وصلات الأخوة...»[3].

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 94.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 4، ص 269.

(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 302.

وظف البشير الإبراهيمي الواو هنا لسوق الحجج متتالية ليدعم رأيه الذي يقول أن قضية الانتخابات في الدول العربية، وقد أضحت ميدانا للعان والسبّ والشّتائم بعيدة كل البعد عن التّحضر، بل إنّها ستهدم بنيان الأمّة وتقود المجتمعات إلى نتيجة حتمية هي انقطاع رابط الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، وهذا ما سيؤدي إلى خراب هذه الأوطان.

هـ/القصر باستعمال الأداتين: "ما ...إلا"

يعد القصر باستعمال " ما... إلا" من أدوات السلم الحجاجي لأنّه من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية[1].

ونجد استخدامها من قبل الإبراهيمي في قوله:

« ... و **ما** وصفه في القرآن بالسراح الجميل والتسريح بالإحسان **إلا** تلطيف إلهي في أسلوب معجز...»[2].

فالقضية هنا بنيت على نتيجة مفادها أن وصف القرآن للطلاق بهذه الصفات المحببة والرقيقة هو لطف من المولى عز وجل بعبادة ورحمة لهم.

أما في قوله:

« ... و**ما** جاء سوء الفهم **إلا** من سوء التفهم من الفقيه...»[3].

وقد طرح البشير الإبراهيمي النتيجة قبل سوق الحجج، حيث بيّن أن سوء فهم الفقهاء للدّين هو الذي أدى إلى تعدي المسلمين حدود الله في الطلاق، حتى أصبح هذا الأمر متفشيا بين النّاس لأبسط خلاف فيكون طلاق الزوجين وتفكك الأسرة وضياع الأولاد وما هذا إلا لجمود الفقه والفقهاء.

أما في قوله:

« ... **ما** هذه الفوضى وهذا الإضراب **إلا** عقوبة من الله لكم وغيرة منه على أحكامه...»[1].

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 519.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 297.

(3) المصدر نفسه، ص 299.

فهنا أيضا قدمت النتيجة على الحجة، وتتمثل في كون الفوضى والاضطراب الذي يحصل بين المسلمين هو أمر سلبي، والحجة على هذا الوضع هو أن عقوبة من الله سلطت عليهم نتيجة إعراضهم غيرة منه على أحكامه.

2-2-درجات التوكيد:

للتوكيد درجات ثلاث تستعمل في إنتاج الخطاب الخبري، ويصنفها السكاكي وفق سياقات ثلاثة [2]: الخبر الابتدائي، والطلبي والإنكاري.

فالخبر الابتدائي لا يستعمل أي نوع من أدوات التوكيد، لأن ما يقدمه المرسل هو بمثابة المتفق عليه بالإجماع بين الناس، مما يجعل خطابه غنيا عن المؤكدات؛ أما الخبر الطلبي، فيعمد فيه المرسل إلى التوكيد بهدف تحفيز المرسل إليه للقيام بالدعوى المفتوحة، غير أن الخبر الإنكاري هو الذي يعمد فيه المرسل إلى تعزيزه بأدوات التوكيد كالقسم واللام المؤكدة، لتثبت صدقه وتبعد شك وإنكار المرسل إليه.

وسنحاول أن نسوق لكل نوع مثالين من الخطب المنتقاة للدراسة، ونبدأ بالخبر الابتدائي في قول الإبراهيمي:

«... شاع بين الناس مبدأ فطري توارد عليه المحدثون والقدماء، ونصره الحس، وهو أن الكبير قريب من الموت...»[3].

نجد الإبراهيمي في هذا الموضع اكتفى في كلامه بأول درجات سوق الخبر دون تأكيد، لأن فحواه بمثابة المسلمات التي يقف عليها جميع الناس وهي وإن كانت خاطئة في ذاتها فإنها تمثل لدى الناس مسلمة يسيرون مطمئنين بها، غير أن الموت يمس الكبير والصغير والصحيح والعليل على حد سواء. والأمر نفسه في قوله:

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها

(2) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987، ص 170-171.

(3) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 269.

«فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا...»[1].

فمهما بلغت درجة رحمة العباد بعضهم ببعض لن تكون بمقدار رحمة الله بعباده وهو خالقهم وأدرى بما تهيم به أفئدتهم من عذاباتهم، لهذا يسّر في الدّين ولم يعسر وجعل الطلاق راحة للطرفين أحدهما أو كلاهما.

أما فيما يخص الخبر الطلبي، فنجد مثالا لذلك في قول الإبراهيمي:

«**إن** تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العدد والعدد...»[2].

فهو في هذا الصدد يحاول أن يؤكد على أن الظفر بالانتصار لا يكمن في العدد وإنما في قوة الروح المشبعة بتعاليم القرآن واستخدم لتأكيد ما جاء به "إن" لتعزيز خبره.

ونجد في قوله أيضا:

«...فاحمليها على الاتحاد باسمك**إنها** إن اختلفت كنت أنت الخاسرة على كل حال...»[3].

والخطاب في هذا المقام موجه إلى الأمّة الجزائرية عامة وإلى أرباب الأحزاب والسياسة خاصة يدعوهم إلى الاتحاد مؤكدا أن تفرقهم واختلافهم خسارة للجميع.

أما عن الخبر الإنكاري فنجد مثالا لذلك في قول الإبراهيمي:

«... ولا أرضا **مما** يرث الوارثون، و **إنما** هي خلال وخصال... و **إنما** هي مآثر وتشييد أمجاد...و **إنّما** هي مساع من الكرام إلى المكارم»[4].

حيث يظهر جليا في هذا الموضع اعتماد البشير الإبراهيمي على الخبر الإنكاري لما فيه من طاقة حجاجية تساعد على التحفيز والمبادرة إلى تحصيل الإقناع بأن العروبة يجب أن تراعى من قبل الشباب المسلمين ولذلك استعمل أكثر من خبر مؤكد في قوله (وإنما هي... وإنما هي... وإنما هي...).

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 297.

(2) المصدر نفسه، ج 4، ص 271.

(3) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 303.

(4) المصدر نفسه ، ج 4، ص 268.

ويتضح ذلك أيضا من خلال قوله:

«... **إن** دينكم شوهته الأضاليل و**إن** سيرة نبيكم غمرتها الأباطيل و**إن** كتابكم ضيعته التآويل»[1].

حيث عمد أيضا إلى سوق أكثر من خبر مؤكد، وتبرز القيمة الحجاجية للخبر الإنكاري المشفوع بأخبار مؤكدة في محاول البشير تحذير الشباب العرب والمسلمين من الخطر المحدق بالدّين الإسلامي حيث شوهته الأضاليل وطغت عليه الأباطيل التي من شأنها أن تعزز الطائفية فتؤدي إلى ضياع المسلمين.

3-آليات السلم الحجاجي:

لا يقتصر ترتيب الحجج في سلم واحد على استثمار بعض الأدوات ذات المعاني، بل يمكن ترتيب الحجج أيضا باستعمال بعض الصيغ الصرفية وتوجيهها في سياق الإقناع[2].

3-1-التعدية:

هي ترتيب الأشياء في سلم يعقد العلاقة بينها رغم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب[3]، ومنها:

3-1-1-أفعل التفضيل:

وقد عرّف بأنه:«صفة مشتقة على وزن أفعل، تدل على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه»[4].

والدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي في أغلب حالاته ثلاث:

1 - صيغة أفعل وهي اسم مشتق.

2 - شيئان يشتركان في معنى خاص.

(4) المصدر نفسه، ج 4، ص 271.

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 525.

(3) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته ، ص 117.

(4) محمد أسعد النادري، نحر اللغة العربية، ص 114.

3 – زيادة أحدهما عن الآخر في هذا المعنى الخاص ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرا حميدا أو ذميما [1]، وله ثلاث حالات تجرده من "ال" والإضافة، واقترانه بـ "ال" وإضافته"[2].

ويتجلى دور أفعل التفضيل الحجاجي في "أنه يتضمن صيغ تمكن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها، كما أنه يمكنه من ترتيب الأشياء ترتيبا معنويا، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب، ولذلك يصنفه **بيرلمان** في حجاج التعدية[3].

ومن ذلك ما نجده في قول الإبراهيمي:

«... فلو نطقت الأرض لأخبرت أنها لم تشهد –منذ دحدحها الله– أمة **أقوم** على الحق **وأهدى** به من هذه الأمة»[4].

ففي هذا السياق يؤكد الإبراهيمي على الأمة المشار إليها في هذا الموضع هي أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وللإقناع برأيه اعتمد على أفعل التفضيل التي مكنته من ترتيب أقواله على النحو الذي رأينا.

ونجد أيضا في قوله:

«ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن... لكان فقههم **أكمل** وآثاره الحسنة في نفوسه **أظهر**، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن **وأنفذ**...»[5].

(1) عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 395.

(2) محمد أسعد النادري، مرجع سابق، ص 114.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 528.

(4) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 93-94.

(5) المصدر نفسه ، ج 3، ص 298.

نجد الإبراهيمي في هذا الموضع أيضا قد تمكن من ترتيب أقواله وفق سلم حجاجي باستعمال كل من أفعل التفضيل (أظهر، أكمل، أمتن، أنفذ) ليبين أن عودة الفقهاء إلى الدين والتفقه بالقرآن الكريم هو السبيل الوحيد لكمال العقيدة، وجعل الآثار الطيبة في النفوس أبين وأوضح، وهو ما يجعل أيضا لهم حكم القول في القضايا التشريعية، فتكون فتاواهم أصوب وأصلح من فتوى الذّين يدعون الدعوة من عامة الناس.

وقوله أيضا:

«وأنا أرى أن الشبان **أحق** الناس بذلك الوعظ، وبالتوجيه إلى الله... حتى تكون **أقوى** الملكات التي تتربى فيهم ملكة الخوف...»[1].

فالبشير استعان بكل من (أحق وأقوى...) ليقنع برأيه وحجّته التي تتمثل في أنّ الشّباب هم أساس المجتمع فإذا صلحوا صلح المجتمع، فلذلك هم أحق النّاس بالإرشاد والإصلاح، محاولا إقناع المتلقي بأن السبيل الصحيح هو بتربيتهم على الخوف من الله.

3-2- صيغ المبالغة:

صيغ المبالغة آلية من الآليات الصرفية يستعملها الخطيب ليعبر بها عن درجة الحجة التي يريد أن يدعم بها خطابه، باعتبارها تفيد الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي وأشهر أوزانها خمسة قياسية هي (فعّال، مفعال، فعول، فعيل، فعِل) وهناك بعض الصيغ القليلة المقصورة على السماع عند القدماء أشهرها من الماضي الثلاثي فعِيل[2].

وتكمن حجاجية صيغ المبالغة في كونها أوصاف تتطلب فعلا معينا، لأن الحجاج لا يهتم بالتصنيف فحسب بل بدلالة هذا التصنيف، ومن الصيغ الواردة ما نجده في قول الإبراهيمي:

(1) المصدر نفسه، ج 4، ص 270.

(2) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ص 128.

"والقرآن هو الذي بلغ بهم إلى تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع الموازين... وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صير كل فرد مطمئن إلى مكانه من الجموع، **فخورا** بوظيفته منصرفا إلى أدائها..."[1].

فالبشير الإبراهيمي يشيد بدور القرآن الذي نظّم حياة المسلمين وزوّدهم بالأدب الإلهي وجعل لكل فرد دوره حتى ينظم حياته، وأشار إلى ذلك بصيغة المبالغة فخورا، لأن الإنسان بطبعه مجبول على رفعة النفس متميز عن باقي المخلوقات وذلك من حكمة الله في خلقه.

أما في قوله:

«...وبالإغناء من واسع فضله عند التفرق؛ أو من آية تخيير النبي أزواجه بين حالين: أحدهما التمتيع والسراح **الجميل**...»[2].

أراد الإبراهيمي أن يفصل في قضية فقهية انطلاقا من تعاليم ديننا وهي الطلاق داعيا إلى الاقتداء بسيرة الرّسول الكريم وبالقرآن، مستعينا بصيغة التفضيل "جميل" على وزن "فعيل".

3-3- حجة الدليل:

تتمثل في الحجج الجاهزة أو الشواهد، وهي من دعامات الحجاج القوية إذا وضعها الخطيب في الموضع المناسب وهنا تتبدى براعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق، ويمكن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، فهي ليست من إنتاج المخاطب بقدر ما هي منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية إذ يكمن دوره في توظيفها توظيفا مناسبا في خطابه وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع[3].

(1) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 4، ص 95.

(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 298.

(3) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ص 128.

ومن ذلك نجد توظيف البشير الإبراهيمي للقرآن الكريم، ومثال ذلك الاحتجاج قوله تعالى: ﴿**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ [البقرة آية 229].

وقوله أيضا: ﴿**ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره**﴾ [البقرة 236].

فالطلاق هنا مرجعيته الأساسية هي الشريعة الإسلامية التي ترجع في أساسها الأول إلى القرآن الذي لا مناص من اعتماده دليلا لذلك مما يفرض على المتلقي قبول الحجة دون محاججة خاصة إذا كان المتلقي مسلما لأن الآية القرآنية بمثابة البرهان القاطع الذي لا يقبل الجدل أو الرفض.

أما ما أورده الإبراهيمي من أمثال قوله:

«هذا الجمود في الفقه والفقهاء... أفضى بهم إلى هذه الفوضى الفاشية في البيوت، وإلى ارتفاع الثقة بين الأزواج والزوجات **وزاد الطين بلة** وضع منحرف لمكان الزوجة من زوجها...»[1].

وهو في هذا المقام يحاول أن يدعو المتلقي إلى ضرورة الانتباه إلى ما آلت إليه العلاقات الزوجية من انحلال وتزعزع نتيجة لعدم فهم الدّين الفهم الصحيح، فالمثل هنا يدعو المتلقي إلى التفكير والمقايسة بين ما يحدث وما يحمله هذا المثل من دلالات تحذر من نتائج كارثية.

كما عمد البشير إل ضرب أمثلة من الواقع المعيش كدليل على صحة ما يراه، وذلك في قوله:

«**يخرج الرجل إلى السوق... ويتناقش آخر مع صهره... ويتنازع الاثنان الحديث**»[2].

لا يقصد الإبراهيمي شخصا معينا بذاته وإنما يجعل من أحداث الواقع مثالا للتّدليل على النتيجة، وفي الوقت نفسه يثبت صفة الكثرة، والشيوع لظاهرة التساهل في الطلاق لأبسط وأتفه الأسباب.

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 299.

(2) البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 299.

وفي الأخير يمكن القول أن خطب البشير الإبراهيمي مجالا خصبا للدراسة البلاغية واللغوية، لما يتمتع به الرجل من قوة لغوية، ومن تمكن كبير بأساليب الإنشاء العربية، وما بحثنا هذا سوى محاولة لفهم بعض ما أمكننا فهمه ولاستجلاء ما أمكننا استجلاؤه من مكنونات خطاباته.

خاتمة

خاتمة:

في الختام، آن لنا أن نجمع شتات النتائج التي أفضى إليها البحث، آخذين بعين الاعتبار التسلسل المنهجي لعناصر البحث، ونوردها في الآتي:

1/ ترتبط أغلب التعريفات المقدمة للتّداولية بفكرة الاستعمال اللّساني وهي في أبسط تعريفاتها (دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل).

2/ إن التأثير الأكثر بقاء في التّداولية يرجع إلى فلاسفة اللّغة الّذين سبقوا بالتأصيل لها وهم، أوستين، وسيرل، وجرايس.

3/ تحتضن التّداولية في تحليلها مجموعة من المباحث هي: نظرية أفعال الكلام، والإشارات، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق.

4/ ترتكز التّداولية على الوظيفة التّواصلية للخطاب وتحاول دعم التواصل والاتصال.

5/ توصلنا في بحثنا إلى فهم تحديدات دقيقة للخطاب، ومع الوقوف على أنواعه، ورصد علاقته بالنص.

6/ عمل البحث على التنويه بمختلف الإستراتيجيات التي يتقيد بها المخاطب أثناء التواصل اللّغوي، والتي يختارها وفق محددات موضوعية وسياقية.

7/ توصل البحث إلى استخراج تحديدات واضحة لمصطلح الإقناع، وقد تركزت كلها حول كون الإقناع عملية تستهدف اعتقاد المتلقي قبل سلوكه.

8/ وقفنا من خلال البحث على اصطلاحات فارقة ودقيقة بين مصطلح الإقناع ومجموع المصطلحات التي تتقارب معه دلاليا.

9/ توصلنا من خلال البحث أيضا، إلى كشف العلاقة بين كل من الإقناع والحجاج، فالأول مركز البحث، والثاني وسيلته.

10/ إن الخطاب الإصلاحي في هذه المدونة بوصفه إستراتيجية إقناعية، وأسلوبا حجاجيا يهدف إلى استمالة المتلقي وزرع الرغبة والأمان في نفسه حتى يقبل على التغير.

11/ تميزت الخطب المختارة بثرائها بخصائص تداولية متنوعة، ترجمها وضوح أسلوب الابراهيمي من خلال محاولته لتبسيط أفكاره قد المستطاع، وأعانه على ذلك تخير الألفاظ وتحديد المعاني في عبارات هادفة مع مراعاته لظروف المتلقي، واهتمامه بالقصد الإفهامي، والإقناعي.

12/ الحجاج عند البشير الإبراهيمي، نشاط إقناعي يتخذ صورة خطاب إصلاحي تشكله عوامل ذاتية واجتماعية ومعرفية، وتحدده قدرات بلاغية وظفت كل العوامل المتاحة.

13/ استخدام البشير الابراهيمي جلّ الآليات الحجاجية من أدوات لغوية وآليات بلاغية، وأخرى شبه منطقية، وكذا آليات السلام الحجاجي، وغيرها من الآليات التي جعلت خطبه قوية الحجة، وأكثر قدرة على الإقناع واستلاب المتقي.

وفي الختام أسأل الله العلّي القدير السّداد والنّجاح، في الدّارين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1/ البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1954-1962.

ثانيا: المراجع العربية

2- إبراهيم إبراهيمي، إستراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، منشورات بونا للبحوث والدراسات، ط1، 2013.

3- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج1، 1960.

4- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط 2، ج2، 1991.

5- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 11، ط3، 1994.

6- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

7- أبو يعقوب يوسف بن محمود بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تحققه: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

8- أبي الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، ط1، 2010.

9- أبي القاسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 1988، ج1.

10- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

11- أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي ، تقديم: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2008.

12- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،،.1992

13- الهيثم الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، .1981

14- بشير إبرير الشريف بوشحدان وآخرون، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، الجزائر.

15- حافظ إسماعيلي علوي، التداولية علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011.

16- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

17- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته – دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010.

18- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، .2009

19- زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1.

20- سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، .2004

21- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.

22- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي "النص والسياق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006.

23- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

24- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط 2، (د ت).

25- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي "خلفيته النظرية وآلياته العملية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، .

26- عبّاس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج4، ط4.

27- عبّاس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1.

28- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)، دار الكتب الوطني، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

29- عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة، السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

30- علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، 1979.

31- عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقيا موريس، مجلة فصول، القاهرة.

32- فرحات بدري الحربي، الأسلوبية في النقد الغربي الحديث، دراسة تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، 2003.

33- محمد أسعد النادري، نحو اللّغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007م.

34- محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، دار الملايين، بيروت، 1987.

35- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، 1991.

36- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 2002.

37- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

38- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي "المبادئ والإجراء"، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م.

ثالثا: المراجع المترجمة إلى العربية

39- آن ربول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوش، محمد الشباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

40- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، (د ت).

41- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1991.

42- روربرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر. تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

43- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،.2000

44- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، المغرب، ط1، 1987م.

45- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غولدمان، تر: صابر الحباشة، دارالحوار للنشروالتوزيع ،الرّباط ط1، .2007

46- ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، تر: جورج أبي صالح، مراجعة وشروح: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت.

رابعا: المجلات و الدوريات:

47- العقاب فتيحة، فنية وفاعلية العلامات في الخطاب الإشهاري- دراسة سيميائية لتفكيك الخطاب الإشهاري، مقال نشر بالعدد 3 لمجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، جامعة محمد بوضياف ، لمسيلة ، الجزائر.

48- دريس مقبول، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 215، 1435هـ/2014م.

49- قادري عليمة، التداولية وصيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي"، جامعة قنسطينة، الجزائر.

50- نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، (د ت)، عدد 17.

خامسا: الرسائل الجامعية:

51- أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.

52- حمدي منصور جودي، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي، دراسة لنماذج نصية مختارة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007/2008.

53- هشام أفروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي الشريف- دراسة في وسائل الإقناع – الأربعون النووية أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009.

سادسا: المواقع الالكترونية:

54- www.bac.com/t6030-topic

ملحق

من مشاكلنا الاجتماعية (2)

الطلاق*

الطلاق حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كلّ ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعًا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم.

لهذه الملابسات التي هي من مقتضيات الفطر السليمة، والطباع الرقيقة، شرعه الإسلام مقيدًا بقيود فطرية حكيمة، وقيود شرعية قويمة، اعتمد في تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومدّ الأمل بالمراجعة، وتوسيع العصمة إلى الثلاث، حتى تُمكن الفيئة إلى العشرة؛ وما وصْفه في القرآن بالسراح الجميل والتسريح بالإحسان، إلا تلطيف إلهي في أسلوب معجز يبعث في النفوس المؤمنة نفحات تُلطف وما تزال تلطف من غلظ الإحساس وعرام الحيوانية حتى يصير الطلاق «عملية بلا ألم».

والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين – وفي الأخير – تقريب بين جسمين؛ فإذا تراخت عُراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقلُ مصلحًا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان، وشفاعة النسل (إن كان)، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين، بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمُّل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتّحدا، وروحين لم يتعارفا؛ لذلك شرع لهما الطلاق

* نشرت في العدد 7 من جريدة «البصائر»، 19 سبتمبر سنة 1947.

ليستريح إليه من ضاق ذرعًا بصاحبه ضيقًا معقولًا بدواعيه وأسبابه؛ ولما كان من بعض أسباب الطلاق ما يزول فتتجاوب النفسان من جديد، وتتراجعان الحنين إلى العشرة، شرع الإسلام تلك الملطفات التي ذكرنا بعضها، والتي تُبقي على أصل الصلة، وتحفظ «خط الرجعة».

جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية تحت أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تُعلّم الأحكام ولا تُبيّن الحِكَم، فأثر ذلك في نفوس المتفقهة – وهم مرجعُ العامة في سياسة الإفتاء – آثارًا سيّئة، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية تُحفظ ألفاظها، ولا يتحرّك الفكر في التماس عللها، وطلب حكمها، وتعرف مقاصد الإسلام منها، وتصفّح وجوه المصلحة والمفسدة فيها.

أنا لم أسمع مدةَ دراستي للفقه في بعض تلك الكتب إلا كلمتين تثيران في النفس شيئًا من الإحساس الحي، وتنبّهان على خيال من الحكمة، وتبثّان في المشاعر بصيصًا من النور، إحداهما في باب النكاح، وهي قولهم: «النكاح مبنيٌّ على المكارمة»، والثانية في باب الطلاق، وهي تناقلهم لأثر «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنّة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلّين المستدلين التي تقرن المسائل بأدلّتها، وتبيّن حكمة الشارع منها، لكان فقههم أكمل، وآثاره الحسنة في نفوسهم أظهر، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى.

إن من يأخذ فقه الطلاق من آية: ﴿الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾، ومما بعدها من الآيات الآمرة بالوقوف عند حدود الله، الناهية عن تعديها، أو من آية: ﴿وَمَتِّعُوهُنّ على الموسع قدرهُ، وعلى المقتر قدرُه﴾؛ أو من آية الحكمين ووعد الله بالتوفيق عند الإصلاح، وبالإغناء من واسع فضله عند التفرّق؛ أو من آية تخيير النبي أزواجه بين حالين: أحدهما التمتيع والسراح الجميل، مَن أخذَ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب يعلم أيّ حكم مبثوثة تحت كل كلمة وكل جملة، ومن تفقه هذا الفقه ونشره في الناس يبعد جدًّا أن يتلاعب بتلك العقدة الإلهية التي عقدها الله بين الزوجين، فيضعها في موضعها المعروف بين المسلمين الآن.

هذا الجمود في الفقه والفقهاء، وذلك الخلاف الواصل بين طرفي الإباحة والحظر في المسألة الواحدة، هما اللذان سهّلا على المسلمين تعدّي حدود الله في الطلاق، وأفضيا بهم إلى هذه الفوضى الفاشية في البيوت، وإلى ارتفاع الثقة بين الأزواج والزوجات، وزاد الطين

بلة وضْعٌ منحرف لمكان الزوجة من زوجها، حتى أصبح متخلخلًا متزلزلًا لا استقرار له، وما جاء هذا التخلخل إلا من سوء فهم من الرجل، انبنى عليه سوء تصرّف منه في الحق الذي خوّله الشارع، وهو أنه يملك العصمة، وما جاء سوء الفهم إلا من سوء التفهيم من الفقيه؛ فالفقيه لا يعرفُ إلا أن العصمة بيد الزوج، لأنه لا يجد في كتب الفقه إلا هذا، وهو حقٌّ في أصل الشريعة، ولكن الإسلام لا يُعطي هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلا للمسلم الصحيح الإسلام، القويّ الإيمان. فهو يكل إليه عهدًا ويستحفظه على أمانة، اعتمادًا على رشده، وثقة بإيمانه، أما إعطاء هذه الامتيازات إلى الجاهلين المتحلّلين من قيود الإسلام فهو لا يقلّ شناعة وسوء أثر عن إعطاء السلاح للمجانين.

* * *

يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثًا فتكون النتيجة خراب بيت، وتمزيق أسرة، وتشريد بنين.

ويتناقش آخر مع صهره في زيارة أو استزارة فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق، وتكون النتيجة تقطيع أرحام، وتكوين فتنة.

ويتنازع اثنان الحديث في السياسة أو التفضيل بين شخصين أو في الغيم والصحو، فتجري ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة، كأنها لازمةُ الحديث، وكأن الكثير منهم لم يتزوّج إلا ليجعل الزوجة أداة يمين، أو ليصدقه الناس حين يحلف لعلمهم أنه متزوّج.

وكثيرًا ما تطلق الزوجة بهذه الأيمان والالتزامات العابثة، وهي لا تعلم من ذلك شيئًا ولم تتسبّب فيه.

وكثيرًا ما تكون آمنة في بيتها سعيدة بزوجيتها، فتفاجأ بالطلاق من زوج أحمق مأفون، لخلاف شجر بينه وبين جار أو بائع أو مشتر على أتفه الأسباب.

أيها المسلمون: إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار، ويتلاعب بها الفجّار، وإن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه وتظلموا، فإذا طغيتم فيه وجُرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منكم القضاء الإسلامي العادل لو كان. فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي.

ما هذه الفوضى وهذا الاضطراب إلا عقوبة من الله لكم، وغيرة منه على أحكامه أن تتولوها بالهوى المطاع، والجهل القالب للأوضاع.

أيها المسلمون: إنه لا أشقى من ابن المطلقة، وإن أباه يُشقيه أولًا، ويشقى به أخيرًا، فإذا ربيَ في حضن أمّه المطلقة شقي ببعده عن أبيه، وشقي أبوه بما تغرسه أمّه في نفسه من بغض له وحقد عليه.

إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارًا، ولا تنتفع بهم كبارًا، إلا إذا نشأوا متقلبين في أحضان الآباء والأمهات، متلقّين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين، لا من قلب واحد.

ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمّتهم؟

دعوة صارخة إلى اتحاد الأحزاب والهيئات*

إلى كل عامل مخلص للقضية الجزائرية من أحزاب وهيئات وأفراد

أيها القوم:

ها هي ذي الانتخابات البلدية على الأبواب، وهي مقدمة لانتخابات متتابعة وحلقة من سلسلة طويلة من النيابات، وإن من طبيعة الانتخابات في الأمم التي لم تنضج آراؤها في الحياة، ولم يتّضح منهاج الحياة لها، أن تشتّت الشمل المجموع وتفرّق الكتلة المتراصّة الأجزاء، فكيف بالشمل الممزق والرأي المفرق؟

وها نحن أولاء نرى خصوم القضية الجزائرية من أئمة الاستعمار قد جمعوا صفوفهم وأجمعوا أمرهم على حرب قضيتنا في منبتها أشدّ مما حاربوها في فرنسا، وها هم أولاء أعدّوا من رجالهم للمراكز العليا في هذه النيابة كل ذي سابقة سوداء في القضية، وكل بطل من أبطال الكيد لها، وكل ذي نية خبيثة في القضاء عليها،وكل ذي دخلة سيئة للاسلام، وكل ذي يد ملوثة بدماء أبنائه.

إنهم قد تداعوا جهرة إلى الاتحاد هنا كما اتّحدوا هناك. اتّحدوا هناك على إحباط برامجكم فنجحوا، وعلى تخييب مطالبكم فأفلحوا، وإنهم قد اتّحدوا هنا على إسكات أصواتكم، وإخماد حركاتكم، وبيدهم أزمة القوة من حُكم ومال، ومطابع وجرائد وقسيسين.

إن ضعف الضعيف لا يكون – في سنّة الله – إلا زيادة في قوة القوي، وإن اختلافكم ضعف، فهو لا يكون إلا زيادة في قوة خصومكم وخصوم قضيتكم.

لا تستيئسوا. إن لم يكن لكم بعض ما لديهم من القوة المادية، فعندكم من القوة المعنوية ما لو أحسنتم تصريفه واستغلاله لغلب ضعفكم قوّتهم.

---

* نشرت في العدد 10 من جريدة «البصائر»، 13 أكتوبر سنة 1947.

إن قوّتكم في الاتحاد فاتّحدوا.

إن الأمة من ورائكم، وهي مختلفة باختلافكم، فإذا اتحدتم اتحدتْ؛ وإنها متألمة من اختلافكم في مثل هذا الوقت، وفي مثل هذا الموقف، وإن هذا التألّم قد يفضي بها إلى اليأس وانعدام الثقة بكم، فأنعشوا آمال أمّتكم باتحادكم وقوّوا معنوياتها بجمع كلمتكم.

إن خصومكم يتقدّمون إلى الميدان بقائمة واحدة مختارة من أهل الكفاءات في حربكم وبغضكم، ومن أهل السوابق في الكيد لكم، يؤيّدها الموافق المتحمّس، ويرجع إليها النافر والشارد والمحايد، فتكتسب من وحدتها قوة الاتحاد، ومن التفاف الفرق قوة الإجماع. وإن هذه القوة تُصيّر الباطل حقًّا في نظر القانون.

أما أنتم فتتقدمون – ما دمتم مختلفين – بقوائم مختلفة متعددة مبنية على عصبية الحزبية، لا على أساس الكفاءة، ولا على اعتبار المصلحة الوطنية، تصحبها دعايات يلعن بعضها بعضًا، ولا تنتهي حتى تقطع ما بقي من أوصال هذه الأمة الضعيفة، وتأتي على ما بقي من وشائج القربى وصلات الأخوة، ثم تترك بعدها نيرانًا من العداوة لا يطفئها ماء البحر، وندوبًا من الحزازات والأضغان لا يمحوها كرّ الزمن، وتصيّر الأخ ينظر إلى أخيه وكأنما ينظر إلى قاتله، فهي كالأمراض المستعصية إن لم تقتل تركت الضعف والارتخاء والفتور والنحول، ثم تبرز القوائم الناجحة فإذا هي هزيلة مضعوفة، مرقّعة الأطراف، خالية من الكفاءات خالية من روح النضال خالية من القيادة الصحيحة، وإذا بتلك الحمية قد بردت، لأن باعثها هو الانتخاب، وعصبية الأحزاب، لا مصلحة الوطن وحقوق الأمة؛ ومن المحزن أننا ما زلنا نعتبر الانتخاب غاية لا وسيلة في حين أنه في حقيقته وفي نظر الأمم الحية وسيلة لا غاية، وهذه إحدى نقط الضعف في عقليتنا العامة، فليعتبر بها رجالنا وأحزابنا، تضاف إليها أخرى من نقائصنا وهي أن الانتخابات في نظر الأمم الحية كميدان المصارعة الرياضية، لا ينتهي المتصارعان حتى يتصافحا على الوفاء للفن؛ أما عندنا فهي مجال خصام، تبتدئ بالسباب، وتنتهي بالعداوة، وما ذلك إلا لأن حظ النفس لم يزل عندنا مقدمًا على حظ الوطن وعلى المصلحة العامة.

يا قادة الأحزاب! إن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تؤرّث العداوة الحزبية بين الإخوة بحجّة المحافظة على المبدإ؛ فانبذوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف، وادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة؛ وإن في صفوفكم دساسين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد، وإنكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول، فأخرجوهم من الصفوف، ولا تسمعوا لهم كلمة ولا تطيعوا لهم رأيًا، وإن إخراجهم لا ينقص عددًا ولا يقطع مددًا، بل يقطع دابر الفساد من صفوفكم ويستأصل مادة الضعف من أتباعكم.

يا قادة الأحزاب! إنكم مسؤولون أمام الله وأمام التاريخ وأمام الوطن وأمام الأمّة، فاعرفوا قيمة هذه المسؤولية الثقيلة، واشتركوا في تحمّلها بإخلاص تخف ويخف عليكم ثقلها.

إن العمل النافع للجزائر يبتدئ من الجزائر، وإن الانتخابات باب للمرور، لا دار للاستقرار، فاعبروه متكاتفين، ولا تعبروه متخالفين، واجعلوا مصلحة الوطن قبل مصلحة الحزب، ومصلحة الحزب قبل مصلحة الشخص.

أيّتها الأمة الجزائرية! إن هذه الأحزاب تستمدّ قوّتها منك، وأنت الزاد والمدد، والعدّة والعدد؛ فاحمليها – بجميع الوسائل – على الاتحاد؛ إنها متكلمة باسمك، فاحمليها على الاتحاد باسمك، إنها إن اختلفت كنت أنت الخاسرة على كل حال، وقضيتك هي المهضومة على كل حال، ويومئذٍ لا ينفعك نجاح الناجح منهم؛ أما إذا اتحدوا وتقدّموا للانتخاب بقائمة واحدة، فإن نجاحهم في النيابة عنك محقق، ونجاح قضيتك قريب؛ فإذا لم تربحي الحق ربحت الاتحاد وكفى به ربحًا.

أيتها الأحزاب! أيها النوّاب!...

دعوْناكم إلى «اتحاد أجزائكم الطبيعية بعضها مع بعضها» في تلك الكلمة المدوية في العدد الرابع من «البصائر»، واتصلنا بكثير من المسؤولين منكم وبيّنا لكم ضرورة الاتحاد في هذا الوقت الحرج؛ فوجدنا بعضكم يقول في الاتحاد بلسانه، ما ليس في قلبه، ويسارع إليه بالقول ويبطئ عنه بالعمل؛ ووجدنا بعضكم لا يفهم من الاتحاد إلا أن يكون اندماجًا وإلحاقًا، لا كما يفهمه الناس من حفظ كل حزب لكيانه، والاتحاد والتعاون على ما فيه مصلحة الوطن، ووجدنا بعضكم لا يرضى إلا بأن تكون جمعية العلماء جزءًا من هذا الاتحاد. وجمعية العلماء – كما هي في حقيقتها، وكما أعلنت – فوق الأحزاب. ومن مصلحة الأحزاب أن تكون جمعية العلماء فوق الأحزاب.

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها*
إلى القرآن من جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان المسلمون:

أبعث إليكم على أمواج الأثير بواسطة راديو بغداد تحية الإسلام المباركة الطيّبة الزكية التي هي رمز الأمان، وعنوان الإيمان، والتي يسمعها المسلم من أخيه، فينبعث معها الروح إلى القلوب، ويتفشّى معها الاطمئنان في الجنوب، وينبثّ بسببها الأنس والبشاشة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية تقرّبني منكم، فأجد في نفسي حديث رجعها عنكم. وحسبي وحسبكم هذا صلة جامعة تمهّد لما وراءها من نصح وحث، أو من شكوى وبث.

أيها الإخوان:

عنوان هذا الحديث الذي تسمعونه الليلة هو: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وهذا العنوان جملة ان لم تكن من كلام النبوّة فإن عليها مسحة من النبوّة، ولمحة من روحها، وومضة من إشراقها.

والأمة المشار إليها في هذه الجملة أمّة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، وصلاح أول هذه الأمة شيء ضربت به الأمثال، وقدمت عليه البراهين، وقام غائبه مقام العيان، وخلّدته بطون التواريخ، واعترف به الموافق والمخالف، ولهج به الراضي والساخط، وسجّلته الأرض والسماء، فلو نطقت الأرض لأخبرت أنها لم تشهد – منذ دحدحها الله –

* مجلة «الاخوة الإسلامية»، العدد 1، 21 نوفمبر 1952، ثم نقلته «البصائر»، العدد 218، السنة الخامسة، 20 فيفري 1953، مع التقديم الآتي: موضوع حديث قيّم للأستاذ الرئيس كان ألقاه بدار الإذاعة في بغداد، واختصّ به مجلة «الأخوة الإسلامية» الصادرة بعاصمة الرشيد بتاريخ 4 ربيع الأول 1372 لصاحبها الأستاذ محمد محمود الصوّاف. وقد رأينا إثباته هنا نقلًا عن المجلة المذكورة تعميمًا لفائدته، وتجديدًا لعهد الاتصال بالأستاذ الرئيس عن طريق ما يُذاع لسماحته وينشر من الأحاديث القيّمة. وهو يتنقل في ربوع الشرق العربي والإسلامي.

أمة أقوم على الحق وأهدى به من أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ دحدحها الله مجموعة من بني آدم اتّحدت سرائرها وظواهرها على الخير مثل أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ دحدحها الله قومًا بدأوا في إقامة قانون العدل بأنفسهم. وفي اقامة شرعة الإحسان بغيرهم مثل أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ أنزل الله إليها آدم وعمرها بذريته مثالًا صحيحًا للإنسانية الكاملة حتى شهدته في أول هذه الأمة. ولم تشهد أمّة وحّدت الله فاتّحدت قواها على الخير قبل هذه الطبقة الأولى من هذه الأمة.

هذه شهادة الأرض تؤدّيها صامتة فيكون صمتها أبلغ في الدلالة من نطق جميع الناطقين ثم يشرحها الواقع ويفسّرها العيان الذي لم تحجبه بضعة عشر قرنًا. بل إن هذه الأمة استقامت في مراحلها الأولى على هدي القرآن وعلى هدي من أنزل على قلبه فبيّنه بالأمانة، وبلغه بالأمانة وحكم به بالأمانة وحكمه في النفوس بالأمانة وعلم وزكى بالأمانة ونصبه ميزانًا بين أهواء النفوس وفرقانًا بين الحق والباطل، وحدًا لطغيان الغرائز وسدًا بين الوحدانية والشرك. فكان أول هذه الأمة يحكمونه في أنفسهم ويقفون عند حدوده ويزنون به حتى الخواطر والاختلاجات، ويردون إليه كل ما يختلف فيه الرأي أو يشذ فيه الفكر، أو يزيغ فيه العقل، أو تجمح فيه الغريزة، أو يطغى فيه مطغى النفس.

فالذي صلح به أول هذه الأمة، حتى أصبح سلفًا صالحًا، هو هذا القرآن الذي وصفه منزله بأنه امام وانه موعظة، وانه نور وأنه بيّنات، وانه برهان وانه بيان، وانه هُدًى، وانه فرقان، وانه رحمة، وانه شفاء لما في الصدور، وانه يهدي للتي هي أقوم، وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وانه قول فصل، وما هو بالهزل.

ووصفه من أنزل على قلبه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، بأنه لا يخلق جديده ولا يبلى على الترداد ولا تنقضي عجائبه، وبأن فيه نبأ من قبلنا وحكم ما بعدنا، ثم هو بعد حجة لنا أو علينا.

القرآن هو الذي اصلح النفوس التي انحرفت عن صراط الفطرة وحرّر العقول من ربقة التقاليد السخيفة وفتح أمامها ميادين التأمّل والتعقّل ثم زكّى النفوس بالعلم والأعمال الصالحة وزيّنها بالفضائل والآداب، والقرآن هو الذي أصلح بالتوحيد ما أفسدته الوثنية، وداوى بالوحدة ما جرحته الفرقة واجترحته العصبية، وسوّى بين الناس في العدل والإحسان فلا فضل لعربي – إلا بالتقوى – على عجمي، ولا لملك على سوقة إلا في المعروف، ولا لطبقة من الناس فضل مقرّر على طبقة أخرى.

والقرآن هو الذي حلّ المشكلة الكبرى التي يتخبّط فيها العالم اليوم ولا يجد لها حلًّا، وهي مشكلة الغنى والفقر، فحدّد الفقر كما تحدد الحقائق العلمية، وحث على العمل كما

يحث على الفضائل العملية، وجعل بعد ذلك التحديد للفقير حقًا معلومًا في مال الغني يدفعه الغني عن طيب نفس لأنه يعتقد أنه قربة إلى الله، ويأخذه الفقير بشرف لأنه عطاء الله وحكمه، فإذا استغنى عنه عافه كما يعاف المحرم. فلا تستشرف إليه نفسه ولا تمتد إليه يده.

والقرآن هو الذي بلغ بهم إلى تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع الموازين القسط للأقدار فلزم كل واحد قدره فكان كل واحد كوكبًا في مداره، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صيّر كل فرد مطمئنًا إلى مكانه من المجموع، فخورًا بوظيفته منصرفًا إلى أدائها على أكمل وجه، واقفًا عند حدوده من غيره عالمًا أن غيره واقف عند تلك الحدود، فلا المرأة متبرمة بمكانها من الرجل لأن الإسلام أعطاها حقّها واستوقن لها من الرجل واستوثق منه على الوفاء، ولا العبد متذمّر من وضعه من السيد لأن الإسلام أنقذه من ماضيه فهو في مأمن، وحدّد له يومه فهو منه في عدل ورضى، وهو بعد ذلك من غده في أمل ورجاء ينتظر الحرية في كل لحظة وهو منها قريب، ما دام سيّده يرى في عتقه قربة إلى الله وطريقًا إلى الجنة وكفّارة للذنب.

كذلك وضع القرآن الحدود بين الحاكمين والمحكومين، وجعل القاعدة في الجميع هذه الآية: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾، وان في نسبة الحدود إلى الله لحكمة بالغة في كبح أنانية النفوس.

القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث لتلك النقائص من أصولها. وبناء للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها البشر ولا يهضم له حق على أساس من الحب والعدل والإحسان. والقرآن هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل: فالعقائد فيه صافية، والعبادات خالصة، والأحكام عادلة، والآداب قويمة، والأخلاق مستقيمة، والروح لا يهضم لها فيه حق، والجسم لا يضيع له مطلب.

هذا القرآن هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه...

فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها، جادة في إصلاحه، فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربّها فتحكمه في نفسها، وتحكم به، وتسير على ضوئه وتعمل بمبادئه وأحكامه، والله يؤيّدها ويأخذ بناصرها وهو على كل شيء قدير.

إلى الشباب*

أوجّه طلائع الحديث في هذه الليلة إلى الشباب الذين هم الساف الجديد في بناء الأمة، والدم المجدّد لحياتها، والامتداد الطبيعي لتاريخها، وهم الحلقات المحققة لمعنى الخلود الذي ينشده كل حيّ عاقل ويتمناه حتى إذا فاته في نفسه التمسه في نسله، وقربت له الأماني معنى من معنى، فتعلّل بالخيال عن الحقيقة، وتسلّى بشبه الشيء عن الشيء، ودأب جاهدًا في تدنيته وتوفير الراحة والهناء والسعادة له، ويعلّل نفسه بأنه سيرث اسمه وماله وهو لا يعلم أنه سيموت اسمه ويُبدّد ماله، وما زالت التعلات صارفة عن اليأس منذ طبع الله الطباع.

وأقول: الشباب. ولستُ أعني بهذا اللفظ معناه المصدري في عرف اللغة، ولا ذلك الطور الثالث من عمر هذا الصنف البشري في مقاييس الأعمار، وإنما أعني بهذا اللفظ طائفة من الأناسي انتهوا في الحياة إلى ذلك الطور الثالث بعد الطفولة واليفاعة، فجمعتهم اللغة على شبيبة وشبّان، ووصفتهم بالمعنى في نحو لطيف من أنحائها فقالت: شباب وشبيبة، كما وصف القرآن محمّدًا بأنه رحمة، وكما وصفت الخنساء الظبية بأنها إقبال وإدبار، ثم جمعتهم سنّة التكامل على القوة والفتوة، وجمعهم اتحاد السنّ أو تقاربه على التعاطف والأخوّة، وجمعهم الدين على التكاليف والواجبات، ووقفت بهم الحياة على جددها، تعرض عليهم السعادة في صور ملتبسة بالشقاء، والشقاء في صور ملتبسة بالسعادة، واكتنفتهم الملائكة والشياطين، أولائك يدعونهم إلى الجنّة محفوفةً بالمكاره، مسوقة بالصبر والألم، وهؤلاء يدعونهم إلى النار ملفوفة بالشهوات، مسوقةً بالإغراء والتزويق والتزيين – ووقفنا نحن معاشر الآباء من ورائهم، نتمنّى لهم ونتجنّى عليهم، ونقترف في حقّهم ولا نعترف بظلمنا إياهم، ونُرخي في تربيتهم أو نشدّد، ولكننا لا نقارب ولا نسدّد، ونعطيهم من

* محاضرة ألقاها الإمام في أحد أندية الشباب بالقاهرة.

أفعالنا ما نمنعهم منه بأقوالنا: ننهاهم عن الكذب ونكذب أمامهم الكذب الحريت، وننهاهم عن الرذائل جملة وتفصيلًا، ثم نخالفهم إلى ما ننهاهم عنه، فيأخذون الرذيلة عنا بالقدوة والتأسّي، ويحتقروننا لأننا قبحنا لهم الكذب بالقول ثم أشهدناهم بالعمل على أننا كاذبون.

إلى هؤلاء الشباب الوارثين لحسناتنا وسيآتنا، المهيئين لخيرنا وشرنا، الحاملين لخصائصنا وألواننا إلى مَن بعدهم من أبنائهم، المتبرمين هنا بحالة هم مقدمون عليها كرهًا، فقد كنا مثلهم شبابًا وسيصبحون مثلنا شيوخًا، وسيلقون من أبنائهم ما لقينا نحن منهم، وسيلقى منهم أبناؤهم ما لقوه هم منّا، جزاءً وفاقًا وقصاصًا عدلًا، وسنّة أجراها الواحد القهّار، وجرى بها الفلك الدوار– إلى هذا الجيل الذي عودتنا الحياة المدبِرة أن نشفق عليه، وعوّدته الحياة المقبِلة أن يشفق منا، أتوجه وإياه أعني وإليه أسوق الحديث، داعيًا له بما دعا له شوقي في قوله:

إن أسأنا لكم أو لم نُسئ نحن هلكى فلكم طول البقاء

متمنيًا له ما تمنّاه له شوقي في قوله:

هل يمدّ الله لي العيشَ، عَسَى أن أراكم في الفريق السعداء

لا أخالف شوقي إلّا في التخصيص فقد خاطب بهذا شباب النيل، وأنا أهتف بشباب العرب، وبشباب الإسلام، أهتِفُ بشباب العرب أن يرعوا حق العروبة وأن يكونوا أوفياء لها، وأن يعلموا أنها ليست جنسية تميز، ولا نسبة تعرف، وأنها ليست جلدة تسمّر أو تحمّر، ولا بلدة تعمر وتقفر، وأنها ليست جزيرة يحيط بها البحر ولا قلادة تحيط بالنحر، وأنها ليست متاعًا ممّا يرث الوارثون، ولا أرضًا مما يحرث الحارثون، وإنما هي خلال وخصال، وهمم تتشقّق عن فعال، وإنما هي بناء مآثر، وتشييد أمجاد ومحامد، وإنما هي مساع من الكرام إلى المكارم، ودواع من العظماء إلى العظائم، وإنما هي عزائم، لا تعرف الهزائم، وإنما هي عزّة وكرامة، وشدّة في الحفاظ وصرامة، وإنما هي طموح وجموح: طموح إلى منازل العزّ وجموح عن مواطن الذلّ، وإنما هي رجولة وبطولة، وأصالة وفحولة، وإنما هي طبع أصيل ورأي جليل، ولسان بالبيان بليل، وعقل على الحكمة دليل، فمجموع هؤلاء هو العروبة، وجامع هؤلاء هو العربي، وما عداه فهو تعللّ بباطل، وتعلق بضلال، وتخلق يكذبه الخلق، وخيانة للعروبة في اسمها وفي وسمها، وعقوق للأجداد، كأنما عناهم المعرّي بقوله:

جَمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهُمْ بَعْد المماتِ جَمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

ثم أهتف بشباب الإسلام ليعلموا أن الإسلام ليس لفظًا تلوكه الألسنة المنفصلة عن القلوب، وتتناوله قوانين التعريف بموازينها الحرفية، وتقلّبه اشتقاقات اللغة على معانيها

الوضعية فينزل به إلى المعاني الوضيعة من السلم إلى الاستسلام... إلّا أن في الإسلام الشرعي نوعًا من معنى الإسلام اللغوي، ولكنه أرفع تلك المعاني وأعلاها، هو معنى تتقطع دونه الأفهام والأوهام، معنى لو طاف طائفه بعقول العرب أهل اللغة قبل الإسلام لَرفع هممهم عن عبادة الشجر والحجر، ولَسَما بهم حينما بُعث محمد ﷺ عن الجدل بالباطل ليدحضوا به الحق: هو إسلام الوجه لله عنوانًا لإسلام القوى الباطنة له، هو المعنى الذي خالطت بشاشته قلب نبي التوحيد ابراهيم فقال: أسلمتُ وجهي، وتذوقته بلقيس حين هداها الله فقالت: وأسلمت، ألا وإن في الاستسلام نوعًا من المعاني لم يتخيله وضع ولا عرف، ولم يتداوله نقل ولا استعمال حتى جاء محمد بالهدى ودين الحق، ونقل اللغة من طور إلى طور، هو استسلام الجوارح – وسلطانها القلب – لله ولعظمته وقدرته وعلمه حتى توحّده وحده، وتعبده وحده، وتدعوه في النائبات وحده، وتنيب إليه وحده، وتذعن إلى سلطانه وحده، وتخشاه وحده، فتستقل عن الأغيار بقدر ذلك الاستسلام إليه، وتتحرّر بقدر العبودية له، وتتوحّد قواها بقدر إفراده بالألوهية، وتعتزّ بقدر التذلّل لعظموته، وتنجح في الحياة بقدر اتّباعها لسننه، وتصفو من الكدرات الحيوانية بقدر اتّصالها به، وتتزكى سرائرها بقدر إيمانها به، وتبعد عن الشرور والآثام بقدر قربها منه، ثم تسود الكائنات بأمره، وتخضع الكون لسلطانها بسلطانه، وتكشف أسرار الوجود بصدق التأمّل في آياته والتفكر في بدائع ملكوته.

هذه بعض معاني هذا الدين العظيم دين الله السماوي الذي بلّغه محمد ﷺ وفسّره بأقواله وشرحه بأفعاله، ووسعته لغة العرب، وحمله إلينا الأمناء الهداة، وعصمه القرآن آية الله الكبرى ومعجزة الدهر الخالدة وكتاب الكون الأبدي، وكنز الحكمة المعروض على العقول والأفكار وعلى الأسماع والأنظار لتأخذ منه كل جارحة حظها من الغذاء.

أيها الشباب: شاع بين الناس مبدأ فطري توارد عليه المحدثون والقدماء، ونصره الحس، وهو أن الكبير قريب من الموت يغذّ إليه السير مكرهًا كمختار وعجلان كمتريث، ومن ثم فهو قريب من الله، والقرب من الله مدعاة عند العاقل المتأله إلى الاستعداد لِلقائه، والتزوّد للدار الآخرة بأهبها وليوم الفاقة العظمى بالأعمال الصالحة، وقد قال شاعر حكيم يصوّر هذا القرب:

وإن امرءًا قد سار خمسين حجّة إلى منهل من وِرْدِهِ لَقَرِيبُ

تواضعوا على هذا وأكثروا فيه القول، وأداروا عليه النصائح والمواعظ للجماعات المتدينة، يزجونها للشيوخ المسرعين إلى الموت، الذين طووا المراحل ودنوا من الساحل – حتى أوهموا الشبّان أن الشباب عصمة لهم من الموت، وأنتج لهم القياس الفاسد أنهم بعيدون عن الله، ولا يبعد في نظر المتوسم في غرائب النفوس أن يكون تخصيص الشيوخ

الهرمين بتلك المواعظ بعض السبب في اغترار الشبّان وانهماكهم في الشهوات واسترسالهم مع النزوات، وبعض السبب في إبعادهم عن الله مضافًا إلى جنون الشباب وسلطان الهوى وتنبه الغرائز الحيوانية.

وأنا أرى أن الشبّان أحق الناس بذلك الوعظ وبالتوجيه إلى الله والتقريب منه، وبالتعهّد المنظّم والحراسة اليقظة حتى تكون أقوى الملكات التي تتربّى فيهم ملكة الخوف من الله، في وقت قابلية الملكات للثبوت والاستقرار في النفوس، وفي وقت تنازع الخير والشرّ للنفوس الجديدة، وإنها لكبيرة أن ينشّأ الشاب على الخير والاتصال بالله من الصغر، ولكن جزاءها عند الله أكبر، لما يصحبها من مغالبة للهوى في لجاجه وطغيانه، ومجاهدةٍ للغريزة في عنفوانها وسلطانها، ولهذا السرّ عدّ ﷺ الشاب الذي ينشأ في طاعة الله أحد السبعة الذين يظلّلهم الله بظلّه يوم لا ظلَّ إلّا ظلّه، وعدّ الشيخ الزاني أحد الثلاثة الذين يلعنهم الله واللاعنون من عباده، لأن المعصية من مثله خالصة لوجه الشيطان لم تصحبها داعية ولم يخفّفها عذر، ولم تسبقها مغالبة ولا جهاد.

أيها الشباب: ساءَ مَثَلًا من أوهمكم أن بينكم وبين الموت فسحة وإمهالًا، لقد علمتم أن الموت لا يخاف الصغير ولا يعاف الكبير، وأسوأ منه نظرًا من توّهم أنكم لذلك أبعد عن الله من حيث المعاد، فإنكم أقرب إلى الله من حيث المبدأ، وان أثر يد الله فيكم لَأظهر، وان المسحة الإلاهية على شبابكم لأوضح، وان أغصانكم الغضّة المورقة لمطلولة بانداء السماء وقد وخزتها خضرته من كل جانب، وان نفحات الله لَتشمّ من أعطافكم وشمائلكم، فلئن كنا قريبًا من لقاء الله بالموت فلَأنتم أقرب إليه بالحياة، ولئن صحبكم الاتصال به في جميع المراحل فيا بُشراكم، ولئن كنا نقبل عليه كارهين مُتَسَخِّطين على الموت، فأنتم مقبلون من عنده فرحين بالحياة مستبشرين، فصلوا حبلكم بحبله واحفظوا عهده، وحذار أن تقطعكم عنه القواطع.

أيها الشباب: إن الشباب نسب بينكم ورحم وجامعة، ولا مؤثِّر في الشباب إلّا الشباب، فليكن بعضكم لبعض إمامًا، ولْيعلّم المهتدون الضُلّال.

دينكم – أيها الشباب – لا يفتننكم عنه ناعق بإلحاد، ولا ناع بتنقّص.

وربّكم – أيها الشباب – لا يقطعنكم عنه خنّاس من الجنّة والناس.

وكتاب ربّكم – أيها الشباب – هو البرهان والنور، وهو الفَلَج والظهور، وهو الحجّة البالغة، والآية الدامغة، فلا يزهّدنكم فيه زنديق يؤول وجاهل يعطل ومستشرق خبيث الدخلة، يتخذه عضين، ليفتن الغافلين، ويلبّس على المستضعفين.

إن دينكم شوّهتْه الأضاليل، وإن سيرة نبيّكم غمرتها الأباطيل، وإن كتابكم ضيّعته التآويل، فهل لكم يا شباب الإسلام أن تمحوا بأيديكم الطاهرة الزيف والزيغ عنها، وتكتبوهُ في نفوس الناس جديدًا كما نزل وكما فهمه أصحاب رسول الله عن رسول الله، إنكم قد اهتديتم إلى سواء الصراط فاهدوا إلى سواء الصراط، إنكم لو عبدتم الله الليل والنهار لكان خيرًا من ذلك كله عند الله وأقرب زلفى إليه أن تجاهدوا في سبيله بهداية خلقه إليه.

إن تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العَدد والعُدد ولكن بقوة الروح، فانفخوا في هذه الأرواح الضعيفة التي أضعفها الضلال عن طريق الحق تنقلب نارًا متأجّجة.

حيّاكم الله وأحياكم وأبقاكم للإسلام تذودون عن حياضه وترودون في رياضه، وللغة العرب تصلون أسبابها، وتردون عليها نضرتها وشبابها، ولمواطن الإسلام تصونون عرضها وتردون قرضها، وتحفظون سماءها وأرضها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

شكر وتقدير

مقدمة 01

الفصل الأول: مفاهيم عامة في التداولية وإستراتيجيات الإقناع

1-التداولية 06

1-1-: المفهوم المعجمي 06

1-2- المفهوم الاصطلاحي 07

1-3- نشأة التداولية وتطورها 08

1-3-1- الإرهاصات 08

1-3-1-1- عند شارل ساندرس بيرس 08

1-3-1-2- عند تشالز موريس 09

1-3-1-3- عند فينجنشتاين 10

1-3-2- مرحلة الاكتمال والنضج 11

1-3-2-1- أوستين 11

1-3-2-2- سيرل 12

1-3-2-3- جرايس 13

1-4- مباحث التداولية 13

1-4-1- نظرية أفعال الكلام 13

1- الفعل اللفظي 14

2- الفعل الغرضي أو الإنجازي 14

3- الفعل التأثيري 14

1-4-2- الإشاريات 15

3- الاستلزام الحواري 16

1-4-5- الافتراض المسبق 16

1-5 مقومات التداولية 17

1-5-1 مفهوم الفعل 17

1-5-2 مفهوم السياق 17

1-5-3 الكفاءة 18

1-5-4 وظائف التداولية 18

2- التداولية والخطاب 19

3- الخطاب والتواصل 20

3-1 مفهوم الخطاب 20

3-1-1 لغة 20

3-1-2 اصطلاحا 20

3-2 الفرق بين النص والخطاب 22

3-3 أنواع الخطاب 23

3-3-1 الخطاب الأدبي 24

3-3-2 الخطاب السياسي 24

3-3-3 الخطاب العلمي 24

3-3-4 الخطاب الإشهاري 25

3-3-5 الخطاب الديني 25

3-3-6 الخطاب الإصلاحي 25

4- إستراتيجيات التواصل اللغوي 26

4-1- مفهوم الإستراتيجية 26

4-2-أنواع الإستراتيجيات 27

4-2-1 الإستراتيجية التضامنية 28
4-2-2 الإستراتيجية التوجيهية 28
4-2-3 الإستراتيجية التلميحية 28
4-2-4 الإستراتيجية الإقناعية 29
4-2-4-1 الإقناع لغة 29
4-2-4-2 اصطلاحا 29
. 4-2-4-3 عناصر العملية الإقناعية 30
4-2-4-4 إستراتيجيات الإقناع 31
4-2-4-4-1 الإستراتيجية الدينامية النفسية 31
4-2-4-4-2 الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية 31
4-2-4-4-3 إستراتيجية إنشاء المعاني 31

الفصل الثاني: الآليات اللغوية في خطب البشير الإبراهيمي

تمهيد 33
1- الأدوات اللغوية 34
1-1- ألفاظ التعليل 34
1-1-1- المفعول لأجله 34
1-1-2- كي 35
1-1-3- اللاّم 35
1-2- الوصف 36
1-2-1- الصفة 37
1-2-2- الوصف بالألقاب: أو "التخصيص" 37
1-2-3- الوصف باسم الفاعل 38
1-2-4- الوصف باسم المفعول 38
1-3- الأفعال اللّغوية 39

1-3-1- الاستفهام 39
1-3-2- التعجب 40
1-4- تحصيل الحاصل 40
2- الآليات البلاغية 42
2-1- تقسيم الكل إلى أجزاء 42
2-2- التشبيه 43
2-3- الاستعارة 44
2-4- الكناية 45
2-5- علم البديع 46
2-5-1- التكرار 46
2-5-2- الطباق 48
2-5-3- السجع 49
2-5-4- الجناس 50
2-5-5- المقابلة 51
2-5-6- الاقتباس 52
2.5.7.التضمين 53
2.5.8.التلميح 55

الفصل الثالث: الآليات شبه المنطقية في خطب البشير الإبراهيمي

1-الآليات شبه المنطقية 57
1-1-السلم الحجاجي 57
2-الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي 58
2-1-الروابط الحجاجية 58
أ – لكن 58
ب/ حتى 60

ج/بل 62
د/الواو 63
هـ/القصر باستعمال الأداتين: "ما ...إلا" 64
2-2-درجات التوكيد 65
3-آليات السلم الحجاجي 67
3-1-التعدية 68
3-1-1-أفعل التفضيل 68
3-2-صيغ المبالغة 70
3-3- حجة الدليل 71
خاتمة 74
قائمة المصادر والمراجع 77
ملحق 84

فهرس الموضوعات